

شخصيات أثرت في التاريخ

جورج واشنطن مؤسس أمريكا



مكتبة النافذة

تأليف: جاك برنسون
عرض وتحليل: هشام خضر



المكتبة الإلكترونية العراقية

جورج واشنطن مؤسس أمريكا

تأليف: جاك برنسون
عرض وتعليق: هشام خضير

مكتبة النافذة

جورج واشنطن مؤسس أمريكا

هشام خضر

الطبعة الأولى / ٢٠٠٧

رقم الإيداع ١٣٧٧٢ / ٢٠٠٧

الطبعة

طريق طيبة للطباعة - الجزيرة

كل الحق
محرطاً

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: محمد عثمان

الجزيرة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي

الثلاثيني (ميدان الساعة) - فوصل

تليفون وفاكس: ٧٢١ ١٨٠٢

alnafazah@hotmail.com

شيفان محمد بن جابر

مقدمة

سيظل جورج واشنطن - الرجل الذي استطاع أن يحرر الولايات المتحدة الأمريكية من قبضة الاستعمار الإنجليزي - صفحة ناصعة ومضيئة في كتاب تلك الإمبراطورية الكبرى التي أضحت متراصة الأطراف، وتسيطر على اقتصاديات العالم بالعقل والقوة والعلم والتكنولوجيا.

لقد كان جورج واشنطن رائدا في إرساء قواعد الحرب وترسيخ معالم الديمقراطية التي تعترف بها الولايات المتحدة وتتفاخر بها أمام الأمم، وتصدرها للعالم من حولها في منظومة رائعة أضحت ماثار حد وحقد وغيرة من كافه شعوب المعمورة.

إن جورج واشنطن يستحق عن جدارة أن نسمي عاصمة الإمبراطورية الكبرى باسمه، وربما قد يكون ذلك أقل مما يستحق هذا الرجل العظيم الذي بدأ حياته شابا بائسا يعاني ضيق ذات اليد، ويشكو شظف العيش، ويحلم بكسرة خبز وشربة ماء من عرق جبينه.

لقد بدأ هذا الرجل كفاحه ساحا للأراضي حتى حظى بشهرة واسعة النطاق فتحت الأبواب على مصراعها حتى تمكن من فرض موهبة وعبقريته في تلك المهنة التي تتطلب قدرات عقلية ومهارة وذكاء، آنذاك كان جورج واشنطن لا يميل إلى الوصول إلى السلطة بل كان زهداً رافضاً لا تمنح لها نفسه، وتأيي أن تخضع لأصواتها وأطماعها، ومن ثم كان محط إعجاب وتقدير واحترام من شعب بلاده الذي رشحه قائدا له يقود حرب الاستقلال والتحرير والانطلاق إغلال وقيود

المستعمر الإنجليزي الذي كان قد فرض ظلمه وطفياته واستبداده على جميع الولايات المتحدة الأمريكية.

كان جورج يرغب فقط في إحراز النصر لوطنه المحتل، وبذل قصاري جهده، ونذر نفسه من أجل عزة وكرامة وطنه الذي كان يروح تحت نيران الاستعمار.

قاد جورج جيش بلاده الذي تألف من المتطوعين والجيش الوطني، وكثيراً ما تعرض للهزائم المخزية على يد المستعمر البريطاني، لكنه استطاع أن يحور النصر في نهاية المطاف بعد أن التفت حوله جميع طوائف الأمة توارره وتدعمه وتسانده، وتشد من أزره أملاً في غدٍ أفضل ومستقبل أكثر إشراقاً، وهو ما أقره العالم أجمع.

إن جورج واشنطن نموذج إنساني يستحق الإعجاب والتحية لكل من يتطلع إلى حياة كريمة وأمة حرة مستقلة.

الفصل الأول نشأة جورج واشنطن

فى داخل مزرعة ضخمة تحيط بها الغابات والأراضى البرية من كل جانب فى مقاطعة «وستمورلاند» إحدى مقاطعات ولاية فرجينيا، وفى صباح الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٧٣٢ .

كان الأب أوجستين واشنطن على موعد مع وليده الثالث^(١) الذى كان ينتظره على أحر من الجمر بعد زواجه من السيدة ماري بول التى كانت تصرخ من قسوة المخاض، واقتراب ساعة خروج وليدها إلى الدنيا.

وفى تمام الساعة العاشرة نهلت أسارير الأب الذى كان يهتمصر ألما وحزنا على صراخ زوجته وصيحاتها المتوالية والمندوية لتختلط معها صرخات وليدها الذى تعالت صرخاته معلنا قدومه، ليرقص الأب طربا وفرحا بقدومه السيد والراحة التى استردتها زوجته بعد صراع مع آلام الولادة.

بعد ساعات راح الأب يبحث عن اسم لوليدته الذى ملأ عليه الدنيا سعادة وبهجة، وراح الأب فى تسمية مولوده حتى اضطر أن يشاور مع زوجته فى اختيار اسم يناسب وليدهما، وكان أن اقترحت الأم على زوجها اسم جورج تيمنًا بالملك البريطانى جورج . . عقدت الدهشة ملامح الأب بعض الوقت وسرعان ما أبدى موافقته بعد أن راح يردد همما «جورج واشنطن . . جورج واشنطن . . جورج واشنطن» . . . وحين تبين للأب ملائمة الاسم راح يعانق زوجته على ذكائها فى

(١) كان الرجل متزوجا من سيدة أخرى ماتت وقد تلمت له لورنس ولورنس، الأول ولد فى عام ١٧١٨ والثانى فى عام ١٧٢٠ .

اختيار مثل هذا الاسم رغم عدم شيوعه بين آل واشنطن الذين يتمسكون منذ القدم بأسماء محددة أمثال: جون تيمنا بالجد الأول الذي هاجر من إنجلترا وأسس أسرته الكيسرة في الولايات المتحدة الأمريكية كأحد أشهر مزارعي التبغ في ولاية فرجينيا، أو تشارلز وارجستين ولورانس، وإدوارد، وهنري، وريتشارد وهي أسماء تعد الأكثر انتشاراً داخل البلاد، أما اسم جورج فلم يكن من تلك الأسماء التي يتمسك بها الأمريكيون على اعتبار أنها من سمات وصفات العائلات الملكية والأسرة البريطانية، أي أنها ملك للطبقات الحاكمة والأرستقراطية رغم عدم وجود تشريع يمثل ذلك لكنها الطبقة المتطرفة التي لوجدتها الرأسمالية الإنجليزية والملكية العتيقة.

بعد مرور عامين على ميلاد جورج واشنطن، رزقت أسرته بطفلة سميت (بيتى) وكانت تشبه جورج إلى حد كبير في ملامحه وصفاته، حتى خيل للبعض من فرط أوجه التشابه بينهما أنهما توأم!!

وبعد مرور عامين آخرين على ميلاد (بيتى) أنجبت الأم طفلاً يدعى (سام)، كان جورج في تلك الأثناء يهوى ركوب الخيل الذي تعج به المزرعة الشاسعة الممتدة على نهر بوتناماك، كما كان تلاحق المزرعة بحافة النهر مدعاة له لممارسة فنون الصيد وحشفه وحرصه على مزاولته طوال ساعات فراغة.

ربما أدى ركوب الخيل المستمر إلى انتصاب قامة التي كانت فارعة، ونمو جسده ذو البنيان القوي.

على أية حال لم يكن شقيقه سام هو آخر عنقود تلك الأسرة السعيدة، بل تبع هذه السلسلة من الأشقاء جون وتشارلي، حتى بات لجورج خمسة أشقاء يضمرون الليت بالبهجة والسعادة وسط حفارة بالفة من الأب، ودفء من الأم التي كانت تحنويهم بحنانها ورقتها وعذوبتها.

فى أحد الأيام أقبل الأب لوجستين مبشرا أسرته بالعثور على مزرعة جديدة ومتميزة، وقد حان وقت الانتقال إليها، ومن ثم حُزمت الأسرة متاعها وانتقلت بصحبة الأب إلى البيت المنشود الذى تحتضنه مزرعة ضخمة وشاسعة، ولا تقل عن تلك التى غادورها، غير أن المزرعة الجديدة نطل على نهر رياهانوك، ويتميز البيت الذى تضمه تلك المزرعة بكثرة وتعدد حجراته ولونه الأحمر وموقعه المتميز، خاصة وأنه شيد على ربوة عالية تحيطها أشجار الغابات من كل جانب، صحيح أن هذا الانتقال الأسرى لم يكن الأول من نوعه لكنه كان الرابع بيد أن هذه هى المرة الأولى التى كان «جورج واشنطن» على يقين مما يدور من حوله، ومن هذا التحول المفاجئ، فى محيط أسرته حيث كان فى مرحلة تتيج له استيعاب ما يجرى أمام عينيه.

كان البيت الكبير الذى انتقلت إليه أسرة جورج يتألف من أكثر من تسع غرف فضلا عن الردهات الواسعة، وما ينبع هذا البيت الضخم من مخازن وأماكن رحبة لإعداد الطعام، ومعامل لتصنيع مشغلات الآليات ومتجانتها، وأماكن المبيت اليومى لكلاب المزرعة وحظائر المواشى، وغرف مخصصة لتخزين المحاصيل الزراعية، وأخرى لمعيشة الحراس وعمال المزرعة... وغرفة كبيرة الحجم خصصها الأب لاستقبال التجار والمزارعين بدلا من التكلف وإهدار الوقت عند إستقبالهم داخل البيت، وما يترتب على ذلك من إسراف وتبذير، كان الأب فى غنى عن مثل هذه الممارسة خاصة وأنه يعول أسرة كبيرة مكونة من سبعة أفراد يتطلبون نفقات باهظة لسد حاجتهم ومتطلباتهم التى لا تنتهى ولا تتوقف.



المثل الأعلى لجورج

ولأن المزرعة كما سبق وأن أشرنا قد شيدت بمحاذاة نهر (رياهانوك) فقد عاود جورج ممارسة هواية الصيد التي سكنت نفسه واستقرت بها، وفي أثناء ذهابه ذات مرة بصحبة شقيقته يني للصيد بينما كاتا يجريان راح جورج المشاكس منذ نعومة أظفاره يقف متراقصا أمام شقيقته على منحدر معبر خشبي حتى يصل إلى مدخل إحدى السفن التي كانت راسية كعادتها بالقرب من المزرعة، وقبل أن يحط بقدميه على مدخل السفينة انزلقت قدماه ليقط في النهر منشبا بالحياة، متمسكا بأهدابها بصراخه وصيحاته، ولولا أن صرخات شقيقته يني شقت عنان السفينة لكان جورج في عداد الموتى؛ حيث هرول عمال السفينة وألقوا بأنفسهم في البحر واستطاعوا بعد لحظات انتشال جورج الذي كان قد غمره الماء، وكاد النهر يتلعه.

خرج جورج بصحبة عمال السفينة الذين كانوا له بمثابة طوق نجاة على الشاطئ، منشبا عليه وقد روده أحدهم بقيلة الحياة لاستخراج ماء الموت من معدته عبر جوفه، ليترد عافيته وتتحرك أعضائه بعد أن تجمدت وتجمدت، وبدا لناظريه جثة فقدت روحها ولم تعد تقوى على الحراك.

بعد أن انقشمت تلك الغمة التي داهمت جورج راح ينسج خيوط علاقة حربية مع ريان السفينة وعماله، وقد شعر جورج بالامتنان الشديد إزاء هؤلاء الذين أنقذوه وأعادوه للحياة، ومن ثم لم ينقطع يوما عن زيارة السفينة ومجالسة ريانها الذي كان يرتدى ثيابا براققة تضيف عليه مهابة ووقارا أخذت لب جورج وانجذب إليها انجذابا..

ولأن السفينة كانت كعادتها في طريقها إلى سواحل إنجلترا فقد راح الريان يقص على جورج خط سير الرحلة الطويلة والشاقة، يد أن جورج لم يكن يبالي بعناء

الرحلة أو طول زمها بل كان توفيقاً إلى نخوضها ومعايشتها ومن ثم نجلت صورة الرباد في أعين جورج وأصبح منذ تلك الحادثة المروعة هو المثل الأعلى الذي بات يترافق أمام حبيه ولا يارحها إلا عندما يأوى إلى فراشه.

كانت السفينة قد اعتادت على أن ترسو أمام مزرعة آل واشنطن لعدة أيام لنقل الحمولات العدائية وتوريدها إلى عاصمة الإمبراطورية البريطانية لندن عبر الطرق البحرية وأصبح جورج ينتظر تلك الأيام التي ترسو فيها السفن بالقرب من مزرعتهم لتوطيد أواصر العلاقات الحميمة مع ربقتها ومحاربيها، ولتجاذب أطراف الحديث الممتع والشيق حول قيادة السفينة وقدرتها على حوص عاب البحار الهائجة والوصول إلى المرفأ المنشود.

والى جانب اشتياق جورج للجلوس في قمرة القيادة، فقد بات مشدوها ومشدوداً بما يشاهي لسمعه حول العاصمة البريطانية لندن وما تشهده من تقدم وحضارة وبهمة ورفاهية، ومن ثم كان حلم جورج الآخر هو الوصول عبر أية سفينة ترسو بالقرب من مزرعتهم إلى الموانئ الإنجليزية لمشاهدة تلك البلاد المتقدمة عن كتب.



لورانس المثل الآخر

كان جورج يعلم أن والده كان قد سبق له الرواح قبل أن يقتنرون بوالدته السيدة ماري وقد أنجبت زوجته الأولى طفلين أولهما لورنس الذي ولد عام ١٧١٨ والثاني هو أوستن المولود عام ١٧٢٠، لكنه لم يلتق بهما من قبل، حيث أنهما قد أوفدهما والدهما لتلقي العلوم العسكرية في بريطانيا، وكم كان جورج نواقا لرؤية أخويه كلما وقعت عيناه على أحد الضباط الذين يرتدون البزة العسكرية والتي تضفى عليهم نزعة بطولية ولمسة جمالية شعلت جورج ردحا من الرمان

وفي أثناء عودة جورج من مدرسته متوجها إلى بيته برفقة (ملائته)، وجدوا أنفسهم بالقرب من إحدى الساحات الواسعة التي تشهد تدريبات عسكرية هبة يؤدبها عدد ضخم من الضباط والحرود استعدادا للمشاركة في حوص الحرب التي اندلعت بين إنجلترا وأمريكا

وفي أثناء وقوف جورج وترقبه لما يحدث أمام عيبيه وقف الضباط يلويون بناء قائدهم بكلمة نعم إذا ما يودي على أحدهم للتأكد من هدم هروب أو نسل أحدهم من داخل المعسكر.

وفي تلك اللحظات تناهى لمسامع جورج اسم شقيقه القائد «لورانس أوجستين واشنطن» فرفض جورج وصرع الأرض مقدميه وصاح قائلا لرملائه: أقسم أن القائد لورانس هذا شقيقي. إنه شقيقي، وقد بدا كمن أصابه مس من الجنون، ولكنه كان مصمما على موقفه وراح يقص على زملاء مدرسته أن لورانس هذا شقيقه الأكبر من الأب فقط، وأنه موفد إلى إنجلترا لخدمة الأمور العسكرية امتثالا لرغبة الأب.

ولأن رواية جورج لم تكن جذيرة بالصدق لدى زملائه فقد تعهد أمامهم بمصافحة شقيقه لورانس عقب انتهاء التدريبات حتى يتأكدوا من صدق روايته .
 وانتظر جورج على صفيح ساخن إعلان قائد المعسكر بانتهاء التدريبات العسكرية حتى يتسنى له أن يؤكد لزملائه مصداقيته وأن يبرغمي في أحضان شقيقه الأكبر الذي لم يكن قد رآه من قبل حتى يعانقه ويشد على يديه ويصطحبه إلى البيت ليماحى به والده وأشقائه ، ثم يسمح له طوال الليل مشواره الطويل من فرجيا إلى المدرسة العسكرية بلندن ، وما بينهما من أحداث ومواقف وصور يتوق جورج لمطالعنها في التو ودون إبطاء .



وما أن فرغت الفرقة العسكرية من أداء تدريباتها ، حتى أصدر القائد أوامره بالانصراف لنيل قسط من الراحة لكل صابط وجندي بين أسرته على أن يعود الجميع مرة أخرى في الموعد المضروب لتسفيرهم إلى إنجلترا للانحراط في صفوف القوات البريطانية في حربها ضد ألمانيا

وهي التو انطلق الطفل الصغير جورج - الذي لم يكن قد بلغ التاسعة من عمره - إلى غناء المعسكر قاصداً آتاء القائد لورانس بين جموع العسكريين حتى عثر عليه ليرغمي في أحضانه وقد بللت الدموع وجهه وهو يصرخ بصوت منحسرج أن جورج بالورانس ، أنا جورج شقيقك ألا تعرفني ؟

وبمجرد أن سمع لورانس اسم شقيقه حتى راح يمطره بوابل من الفلات ، وهو يضمه إلى صدره ليثبت فيه شوقه وحنينه الذي اكتوى به طوال سنوات اعتزائه في إنجلترا وانساعاده عن أسرته ، بعد لحظات من العناق الحار اصططحب اليوزياشي لورانس شقيقه الصغير جورج وتوجها معا إلى البيت والسعادة تهمرهما وسط فحول

ودعشة زملاء جورج الذين صافحوا اليوزباشى واحداً بعد الآخر ، وهم يتعاضدون
كمادة الصغار فى مثل هذه المرحلة المبكرة من العمر

كان لورانس العائد من بعثة العسكرية قد رقى إلى رتبة يوزباشى ، ومن ثم
أصبح قائد فرقة الجنود التى كانت تتدرب منذ قليل

وفى طريق العودة إلى المنزل راح جورج يلتقى بحرمة من الاسئلة على مسامع
شقيقه ، وراح اليوزباشى يجيب والانسامة الحانية لا تقاى وجهه المشرق الباسم ،
وقد أضحى فى شرح الأوضاع العسكرية المتعجزة بين إنجلترا وأسانيا فيما أضحى
جورج وكأنه يعلم ما يردده شقيقه اليوزباشى الذى أكد أن البلاد تحارب فى منطقة
جرائر الهد العربية فى الجهة الأمريكية من المحيط الهادى . وراح يحكى ملابسات
انضمامه إلى الفرقة العسكرية المتوجهة إلى ميدان القتال بأوامر صادرة لتوها من
جلالة ، ثم استرسل لورانس فى وصف أخطر وأبرز المعارك الحربية التى جرت فى
جهة القتال وكيف استطاع أمير البحار (الادميرال ماوت فرود) البريطانى من
السيطرة على أهم وأقوى القلاع الألمانية من خلال خطة عسكرة لم يشأ لورانس أن
يشرحها لشقيقه جورج نظراً لصعوبتها وتعقيد خطوطها التى لا يستطيع استيعابها إلا
من كانت لديه خبرات عميقة ونجارب طويلة فى ميادين القتال

وحين وصل لورانس إلى البيت الكبير راح يعانق والده ويحتضنه وهو يسكى
فرحاً على عودته سالماً إليه بعد سنوات طويلة من الاعترا بعبثاً عنه . وراح
الاب المتمرس يربت على كتف ولده لورانس بهتة على رنته الحديدية وتولية منصب
قائد فرقة عسكرية صحمة ، ومدوره توحه إلى أشقائه الصغار وحلس بهم بعد أن
صافح زوجة والده التى احتمت بقدمه وراحت تتولى سقها إعداد وتجهيز أفحر
وأشهى وألد أنواع الطعام والمصائر ، وقد بدت لزوجها أنها بدل قصارى جهدها

فى الاحتفاء بلورانس الأمر الذى نعث على نفسه العطية والسرور، ومن ثم قضت
العائلة ليلة سعيدة هادئة وسط ذكريات راح لورانس يرويها فيما كان أشقاؤه ينصتون
وقد فاعت أهواهم مشدودين مسحورين كان على رؤوسهم العير



بعد أن مرت بضعة أسابيع تجمعت الأسرة حول لورانس بعد أن قامت شقيقته
بىنى بجمع مناصه وأدواته الشخصية وحرم حقائبه استعداداً للسفر مع جنوده
المتجهين جميعاً إلى لندن للاشتراك فى اتون الحرب الإنجليزية الإسبانية .

وكان جورج فى طليعة أفراد الأسرة الذين اصطحبوا اليوريشى لورانس إلى
ساحة التجمع لتوديعه، وهناك احتشدت العائلات واحتلظت الدموع بالأهات
والبكاء بالصراخ والحجب كل يئكى على ليلاء.

الروجة تبكى رحيل زوجها إلى ميدان القتال، والإنة تصرخ من أجل أبيها الذى
لا يدرى إن كان سيعود سالماً غانماً أم أنه سيكون ضمن ضحايا تلك الحروب
للمجنونة . والام تشق جيوبها حرناً وألماً على أهز ما وهته لها الدنيا، والعنة
المحطوة تدرف الدموع تحسراً على اقتنار الأيام الخوالى الناعمة الناعمة العدة .
والأشقاء يحتضنون بعضهم البعض والدموع تتحجر فى عيونهم خيفاً وسعطاً من
تلك الحرب التى شامت أن تباعد بينهم

وانطلق صوت باعج البروجى مؤدماً بالصمود الجماعى للمجنود إلى ظهر السعنة
وسط صيحات وصراحات ودعوات وقلات وأهات ومراسير تصدح وطبول تدق
وهتافات وأناشيد وطنية تدعو الله أن يحفظ الملك . .

وأبحرت للسعنة وقد انجذبت بوصلتها نحو للحيط الهادئ، ونحركات تقطع
وتكسر الأمواج موجة بعد أخرى، وعادت الجماهير إلى يسونها تجرهم أمالهم فى

لقاء قريب وتسكن الالمهم لعباب الخبيب، حتى ملئت المدينة كثبة حربية بانسة إلا من صرخات الاطفال الذين أطربهم الحشد الشعبي والاحتمال المهيب الذي جرت وقائمه منذ لحظات

وفي أثناء غياب الفرقة العسكرية عن المدينة كان جورج الياء يقود زملاءه في المدرسة والمكس إلى القعاء الواسع الذي شهد تدريبات الفرقة العسكرية وراح الاطفال والصبية يتقاتلون بالصصى وسيقان الدرة كأنهم جمود فرقة لورانس واشطن بعد أن توحشت في نعوسهم عزيزة الحندية المبكرة



بعد مرور نحو عامين من معاداة فرقة لورانس عادت الفرقة مرة أخرى وعلى رأسها القائد المغوار لورانس واشطن الذي كان قد واطب على مراسلة أسرته من ميادين القتال حيث أن لقاءهم قد ألقى بطلال من الحب الحار فمات على أثره مهووساً بالعودة إليهم مرة أخرى بعد أن ذاق منهم حلاوة الترابط العائلي واستشعر بدقته وسحره وضروراته وحاجته الملحة له..

توجه لورانس إلى بيت عائلته برفقة بعض الجنود الذين حملوا له صديق الهدايا التي اشتراها لأشقائه ووالده وزوجته، وكان لورانس واعياً ودكياً حيث كان يعلم ما يريد أن يشاؤه من هدايا دون أن يفصحوا له عنها أو يسألهم هو عما ينعمون

كانت للهدايا أبلغ الأثر في ترطيب صدور العائلة التي احتوت لورانس بحنانها وكرمها وقد أحس جورج بأن الحب نحو لورانس ينمو بداخله يوماً بعد يوم، حتى أنه شعر أن لورانس لا يعد له أخاً فحسب بل مات صديقاً لا يمكنه الابتعاد عنه نظراً لعمامة خلقه وطية قلبه، وشديد كرمه وعزلة صراطه التي لا تنقطع لحظة نحو أفراد أسرته بما بهم روجة أبيه التي أعلق عليها بأعلى الهدايا الأنيقة التي أعجبتها.

كانت عودة لورانس هذه المرة تختلف عن سابقتها، حيث كان قد عاد برفقة شقيقه أوسن الذي استقبله الأسرة استقبالا حارًا لا يقل بحال من الأحوال عن تلك الجملة التي استقبلت بها الأسرة شقيقه لورانس

لكن كان قلب جورج يميل نحو لورانس الذي كان بمثابة مثله الأعلى ونموذجه الذي يتطلع إليه ويقتفى أثره منذ أن وقعت عياد عليه لأول مرة.

كان لورانس كعادته لا يكف عن رواية أعرب واحظر وأقوى المعارك الحربية التي شهد وقائعها بنعه في ميادين القتال الدائر بين إنجلترا وأستراليا، ولم يكن يمل من سرد الحكايات التي كانت تشبه الأساطير عن عبقرية وسوع قائد البحرية الملكية الأميرال ماوت «فرنون» أمير البحار، الذي كان مصرى للأمثال في البطولات والصور المكرية، فضلاً عن شجاعته وجسارته التي كانت محط إعجاب من جميع قادة وساسة بريطانيا العظمى

كان جورج أثناء تلك الحكايات لليرة الممتعة والشيقة يجلس بين يدي لورانس مسحوراً متأملاً مترقباً متطراً ما سيجود به لانه الذي كان جعراً دعيماً بعبء جورج إلى قلب لورانس الذي كان يتصف بالفطرة على حرص ما يريد بسهولة وبعبارة واضحة بسيرة غير معقدة أو مركبة لا تصفى على حديثه جواً من الكانة، بل إنه كان صبعاً للدهشة والدهول والإعجاب والاعجاب لم يسمعه، ومن ثم كان جورج يرى أن شقيقه لورانس كان أبرع من أى أديب في وصفه وحكاياته، كما كان يراه أجمل شاب في مديته، رغم أن لورانس كان ذو بشرة سمراء وإن كان وجهه صبرحا وعيناه تلمعان ببريق كأنه قد اعتاد تكحيلها، فيما كان يمشق القوام نحيف الحسد، أما جورج فقد كان أحمر الوجه أصمر الشعر طويل القامة عريض المنكبين رغم حداثة سنه في ذلك الوقت الذي لم يكن قد جاوز فيه الثانية عشرة من العمر

وفاة الاب المفاجئة

فيما كان جورج يقوم بزيارة لبعض أقاربه في نفس المقاطعة التي يعيشون بها، وبينما كان يتجاذب أطراف الحديث مع أقاربه حول اعتزامه السفر إلى لندن لتلقي علومه العسكرية شأنه في ذلك شأن أخويه لورانس وأوستن إذ يأخذ الرجل يدق باب أقاربه بعنف وحين دنا من جورج همس في أذنه بأن والده يشكو ألما حاداً وصعباً وأنه قد أبدى رغبته في رتبته الآن، الأمر الذي دفع جورج للوثوب في رشاقة على ظهر جواده الذي انطلق به مهزولاً وعجولاً إلى بيته بالمرعة للوقوف على حقيقة ما حمله إليه الرسول، وقد كانت نبضات قلبه أكثر هدداً من قمرات جواده من فرط خوفه وجرعه على ظهره وسد وجهه وقلعت وحسنه الميع وسع الحنان الذي يرتوي منه كلما رآه.

وحيث اقترب جورج من البيت سرت في جلدته فشمريه لم يمهدها من قبل أوعرت إليه أن أباه في السرع الأخير، أو ربما قد فارق الحياة حيث لاحظ أن البيت بدا في عينه كتيلاً قائماً مظلماً، يبعث على الأسى، وحين استقبلته والدته انزعج قلبه بعد أن رآها على غير ما تركها منذ ساعات، وقد بدى وجهها عارفاً في بحر من الدموع فصديق حذمه الذي راوده في طريق عودته وما أن تسلل على أطراف قدميه إلى فراش والده حتى تأكد أنه قد فارق الدنيا فأعشى على جورج الذي كان قد اجتاحت به بومة بكاء هستيري، وقد تبه منها على يد محامي الأسرة وواعظ الكنيسة وبعض أقاربه الذين كانوا قد حضروا على عمل لامتشاف الوضع الذي آل إليه حميد الأسرة بعد أن طارت الرسل إليهم تحبرهم بأن أوجنتين في خطر.

بعد لحظات قام البعض من أفراد العائلة بشجيرة مراسم الدفن وتشجيع الجنازة لإطفاء نار الحزن التي تسيطر على أفراد البيت طاملاً بقيت جسده عمدة حولهم.

كان والده يستحق الحزن والالام والأسف على رحيله حيث اعلق على جميع أبنائه بمدونه وكرمه وسحاكه ومضله ورقته دون تمييز أو فرقة فيما بينهم، ولكن كانت الأم تتوجس خيفة من رحيل الزوج المفاجيء وما يمكن أن يترتب عليه من محاطر جسيمة وعواقب وحيمة تنعكس على مسيرة الأسرة ومشوارها الطويل الذي انصرف عنه بيد القدر دون إعداد مسبق لرسم مستقبل هذه الأسرة التي تشتهر بكثرة أعدادها خاصة بعد عودة لورانس وشقيقه أوسن إلى أواصرها.

كانت محاور الأم في محلها حيث أن الهواجس التي مكنتها عقب رحيل زوجها قد أصبحت حقائق لا شك فيها، فقد أداع محامى الأسرة بيانا تفصيليا دقيقا وواقيا عن وصية الزوج الذي لوصى طبعا للأعراف والتقاليد والقيم الاجتماعية الإنجليزىة بأن يرث لورانس النصيب الأكبر من التركة المتواضعة، وذلك وفقا لما هو متبع لم يخلف أباه هي تلك الحفظة الرمية

وحين سمعت الأم بيا الوصية وخيبة الأمل التي ميت بها هي وأولادها امتعض وجهها وأدركت في التو أن المستقبل قد بات مظلما وسودويا، ومن ثم وجب عليها تدبير ما يلزم في الأيام القادمة وتعبير الخطط المستغلبة وما كان قد تعهد به الأب لأولاده قبل أن يفترسه الموت..

لقد صاغت الدنيا في عين الأم التي ورثت عن زوجها هموم ومشاعب لم تنتهى، بل سترداد حنة وقوة عما كانت في حضرة زوجها الذي لم يكن ثريا، بل كثيرا ما فقد أمواله في تجارة النخ الذي كان يقوم بتصديره إلى إنجلترا عبر البحر البحريّة بواسطة براميل كم من مرة قد تعرضت للتلغ من سوء التبحرين أو من تسرب الماء إليها بعد أن تمتد إليها بد الإهمال.

لقد أدرك جورج بدكاته أن الأمور بالعمل قد تغيرت ونحوت بوصلتها إلى مجهول عامض يتظر الأسرة الكبيرة، ومن ثم لم يعد هناك مجالا لأحلامه التي

كانت تسكن معه رقله وعقله ويات عليه أن يبحث بوصفه الشقيق الأكبر لاشقائه من أمه خاصة وأنه لم يعد بمقلود لورانس وشقيقه النقاء بعد أن رحل من كان يحرص على وجودهما في بيته، ربما كانت زوجة أبيهما لا يروق لها بقائهما خاصة بعد أن حظيا بالجزء الأكبر من ثروة لم تكن كبيرة.



بعد أن شيعت جنازة الأب عاد الجميع إلى البيت للتباحث في شئون المستقبل، وكان لورانس وشقيقه أوسن قد قررا دون تراجع معاداة البيت بعد انتهاء العراء وانقطاع الناس عن مواساتهم.

وبالمعل حرم الشقيقان حقائبهما وراحا يحثان معا عن مكان مناسب ولاتق لهما بوصفهما ضباط في الجيش الإنجليزي العريق ولكن سرعان ما تفرقت بهما السبل حيث طالت الحياة لكل منهما وفق هوى صاحبه، فقد استقر لورانس في مزرعة واسعة تطل على نهر بوتوماك بالقرب من المزرعة التي كان يتأجرها والده من قبل، بينما عاش شقيقه الأصغر أوسن في إحدى المزارع، قيل إنها المزرعة التي قصى فيها جورج بعضاً من طفولته.

وكان جورج كعادته لا ينقطع عن زيارة شقيقه اللدني قد تزوجا بعد رحيل الأب المعاجيء، خاصة ترده الدائم على بيت شقيقه لورانس الذي كان يميل إليه وينجذب إلى أحاديثة خاصة وأنه كان معتوناً بسيرة الأدميرال «ماونت فرنون» الذي أطلق لورانس اسمه على مزرعته في مدينة ويكفيلد.

كانت الحياة في تلك المدينة مشيرة وشيقة ولطيفة.. حياة لم يكن جورج بمعدها من قبل وكان يت لورانس قبله - لقادة كبار ورموز من داخل الجيش الإنجليزي وخصوصا ضباط البحرية من أصدقاء ومعارف لورانس.

كان لورانس كريما سخيا في بيته، حيث كثيرا ما كان يقيم الولائم الضخمة لصيوه فضلا عن سماحته في ممارسة لعب الورق كل ليلة كما كان مشهورا بإعداد وتجهيز اصطياد الثعالب.

كان لورانس على علاقة وطيدة وصداقة عميقة مع آل «آد» الذين يجاورونه في المسكن، حيث كان عميد تلك الأسرة السير ويليام سيرفاكس من ألمع الرجال وأشهرهم على الإطلاق..

كان لهذا الرجل ابن عم لورد واسع الثراء حيث يمتلك في مارجيبا نحو أكثر من خمسة ملايين من الأونصة خلف جنال ريدج



كيف تتعامل مع الآخرين؟!

كان جورج حائراً تائها لا يدري كيف يجب التصرف نحو الآخرين؟ ومتى يبدأ هو الحديث؟ وكيف يستطيع أن يتجاذب معهم أطراف الحديث دون أن يشير عضو أي منهم أو يفقد تقديره وامتنانه واحترامه؟ كان جورج مسكوباً بهذا الأمر لا يكل من البحث عن آدابه وقواعده، ثم كان كثيراً ما يشاهد: متى يضع ساقاً على ساق؟ ومتى يلود بالصمت؟ ومتى يضحك؟ وما هي الموضوعات المناسبة؟ وهل يعني لمعان أم يضافحه وهو متصبب القامة مرفوع الهامة؟

هواجس وخواطر هاجت بها رأس جورج المراهق الذي استعرب أن سكان تلك المقاطعة التي يعيش بها شقيقه لديهم القدرة والبراعة على صياغة العلاقات الإنسانية الناجحة، وهو الأمر الذي يعتقد أو هكذا كان يظن.

وظل جورج على حاله حتى عثر على كتاب في مكتبة شقيقه لورانس، كان الكتاب بعنوان "كيف تتعامل مع الآخرين؟" وقد راح يقرأ بعض فقراته في سعادة غامرة بعد أن عثر واعتدى إلى صالته المشوذة..

ومن بين هذه الفقرات التي اجتذبت: "إن أي عمل تؤديه أمام جمع ضمير من الناس يجب أن يرتبط سلوكك بمظهر من مظاهر الاحترام للغير فإذا تثابست وضع يدك على فمك، إذا دخلت مكاناً ما فما عليك سوى أن ترفع قمعتك لمن فيه من ذوي الماصب المرموقة، لا تجلس والناس وقوف، لا تستسلم للبرم وأحدهم يتحدث معك، لا داعي لإظهار مرحك إذا حلت كارثة بأحد حتى وإن كان عدواً لك،

لقد تفحص جورج قائمة المنوعات والمطلوبات والمسموحات، فاكشف أنها تتجاوز المائة، ومن ثم اعتكف على نسخها لحفظها من أجل أن يعمل بما ورد في سطورها حتى يتسنى له اكتساب صداقات جديدة كما يفعل شقيقه لورانس

العمل في المساحة

كعادته في الصباح راح جورج يلعب مع الصبية من زملاء المدرسة أو من أبناء البيوت المجاورة لبيته، وفي إحدى الأماكن الشاسعة جلس الصبية جميعاً يتأملون أداء بعض رجال المساحة الذين وعدوا إلى مدينة فريديكسبورج لمسح قطعة الأرض الواسعة بالمدينة التي كان الحشد يتدربون بها على يد شقيقه لورانس.

كان الهدف من إجراء عملية المسح هذه إمكانية التخطيط الهندسي لندشين أحد الشوارع الجديدة، وكان من بين هؤلاء المساحين مجموعة تخصصت في جرد الخنازير، وأخرون يشولون نقل الآلات من مكان، إلى مكان ثم يمحسون أحدهم بإحدى عيبه آلة البوصلة المثبتة أمامه على أحد الحوامل ذات الأرجل الثلاثة على أن تتحرك أيديهم بطريقة واحدة لا تتغير.

كان جورج بين أصحابه يرصد كالقط تلك العمليات وهو يأمل أن ينحرف في صفوفهم لمساعدتهم، وقد واثته الفرصة حين انسحب أحد الرجال من الميدان لعدة فد أصابته فارغته على الخروج تاركاً مثوليته لزملائه، فأسرع جورج لشغل دور هذا العامل المريض وتولى باليابة عنه القيام بجر الخنازير وهي الطريقة التي أعجبه وجعلته إليها.

وفي أثناء العمل راح يسأل كبيرهم عن الأجر الذي يتفاداه لو أنه عمل معهم مساعد مساح، فتلقى جواباً عن طبيعة الأجور صادف هوى في نفسه، وقرر المضي قدماً في هذا الأمر لمساعدة والدته وأشقائه؛ خاصة أن غياب الأب المفاجئ قد ألقي بكل تبعاته وسلبياته على مسار الأسرة التي أصبحت في مهب الريح تعاني شظف العيش، وتشكو قلة الحيلة والراد

للهسم . اتجه جورج إلى منزله للبحث في مخازنه عن عجلة معرلة كانت ملفاة بداخله منذ سنوات وبحث عن صندوق كبير أسود اللون له يد حديدية مربوط به عدد لا بأس به من الحصى، والذي يستخدمه الملاحون عند قياس الأراضي، وكان والده شديد الاعتناء بوجود مثل هذه الآلات في منزله لقياس المزارع التي كان يعرض على شرائها وزراعتها.

وقام جورج في الثو بنشر أرجل الحامل الثلاثة وقام بتثبيتها على الأرض ثم أخرج البوصلة ووضعها في موضع سليم على أن تلتقي بهذه الأرجل، وسرعان ما صرخ من أعماقه بما يشير بأن الأدوات سليمة ولم تتعرض للتلف

وفي الثو ودون تردد قرر جورج أن يعمل مساحاً؛ ولأنه كان يترك أهمية تحصيل علوم الرياضيات لكي يجيد تلك المهنة قرر أن يلجأ إلى جاره المستر ويليامر استاذ الرياضيات للتزود منه والاستعانة من علمه حتى يتسنى له فرصة العمل مساحاً يستطيع عمل التخطيط والقياس.

وجلس جورج يفكر في هذا الأمر، وهل يفتح آحاد لورانس في هذا الشأن عبر رسالة مطولة يشرح بها أسباب شغفه بتلك المهنة وما تدر عليه من أرباح تعضد من حال الأسرة وتشد من أزرها، أم أن لورانس لن يتقبل مثل هذا العمل الشاق لمن هو في مثله سنة ١٩!

وقبل أن يفرغ جورج من هواجسه التي كانت تهيج في رأسه كأنها مظاهرة، سمع الباب يذق فأمرع ناحيته ليستطلع القادم إلى منزلهم فإذا به ساعي البريد الذي جاء حاملاً إليه رسالة من شقيقه لورانس.

وقام جورج على الفور بقراءة نص الرسالة التي عرض بها لورانس فكرة لاقت قبولا وترحاباً لدى جورج؛ حيث أخبره أن البحرية قد أصدرت إعلاناً تطالب فيه

الشباب بالانحراط فى صفوفها إذا توافرت لديهم الشروط الصحية والذهنية والخدمية ..

ربما كانت هذه الفكرة هى التى كاد يحلم بها جورج حيث تافى مد نعومة أظفاره لأن يكون صابطاً من صباط البحرية؟ لقد راودته صورة القبطان البحرى والبحارة الذين أنقذوه من الفرق وراح يتجادل معهم أطراف الحديث حتى أنه تطلع إلى اليوم الذى يصبح فيه بحاراً يشق بميته عباب الحار ويكسر أمواجه العيقة ..

ثم ما أروع أن يعمل صابطاً فى البحرية البريطانية، وهل يمكن أن يكون يوماً ما أميراً للبحار تروى عنه البطولات والحكايات كما اعتاد لورانس أن يقص على مسامعه خوارق وبطولات الأدميرال «هرون» أمير البحار؟ وراح يستسلم لخيالاته حتى وجد نفسه مرتدياً الثياب البحرية وقد تربت بالأوسمة والياشين الملكية المحلاة بالذهب وظل جورج بعض الوقت محلقاً بأجنحته فى سماء خياله الخصب، شاحهاً بصره نحو صورته المستقبلية بوصفه أمير البحار (جورج واشنطن) مضرب الأمثال ورمز البطولات وأمل الأمة حتى باعته والدته بقولها

جورج ماذا دهاك أراك مذهولاً، ماذا بك يا بى؟

لم يكن جورج قد استرد شخصيته بعد لجيب على أمثلة والدته، ثم ما لبث أن استوعب ما يجرى من حوله بعد أن جدته أمه بصوتها الصاحب وأستلثتها المتوالية على رأسه.

وتقدم جورج نحوها بحطوات ثقيلة راجياً من الله أن تسمح له بالانحراط فى البحرية البريطانية خاصة وأن موافقتها شرطاً رئيسياً من شروط الانضمام نظراً لسنة الذى لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة، وهو ما يجعله يعتقد شرط الانضمام دون الحاجة لموافقة ولى الأمر، وراح جورج يقرأ على والدته مصوص رسالة شقيقه

لورانس، بيد أن الأم قد صرخت في وجهه وهي تضرب الأرض بقدميها احتجاجاً على تدخل شقيقه في شئون بيتها، ومن ثم أعلنت بعلن جوفها ومن أعماقها رفضها القاطع والخاسم لهذا الأمر.

لكن جورج الذي تأقت به للانصمام في صفوف البحرية راح يلح على والدته لكي تمنحه رضاها ومباركتها، بيد أنها طلبت منه أمام إصراره والحاحه أن تبحث بحطاب إلى شقيقها «جوزيف بول» تستشير فيه، وتستطلع رأيه في هذه الفكرة ومن ثم يمكنها أن تحدد موقعها من تلك الفكرة.

وامتثل جورج لهذا الاقتراح ظاناً أنه خاله جوزيف سوف يشارك مثل هذا الأمر، غير أن خاله أرسل رفاً عاجلاً يتوصل فيه إلى والدته بعدم الاندفاع في مثل هذه الأمور؛ حيث أن العمل في البحرية سوف يعرض لابنها جورج للتنعب والكذب والمعاناة والتمييز والضرب والتعذيب والاضطهاد، خاصة وأن البحرية البريطانية لا تتألى بالمقرءاء الذين لا يتسبون إلى النبلاء والأمراء، بينما تبدي مخطتها ولادراءها إزاء من هم على شاكلة جورج، وعاد جورج أدراجه لينظم أولويات حياته، ومن ثم قرر العودة إلى الانخراط في عمل المساحة مع بعض العمال الذين يعملون في نفس المجال..

وبعد أن اكتسب جورج الخبرة قرر أن يعمل بمفرده ولم يكن قد مر على انخراطه في صفوفها أكثر من خمسة أشهر؛ وذلك لرجاحة عقله ودكانه وقدرته الفذة على الفهم والاستيعاب.

وراح جورج يعلن للكافة أنه قد أصبح مساحاً يستطيع القيام بأي عمل يوكل إليه بمفرده دون الحاجة إلى مساعدة الغير أو الاستعانة بحجراتهم، وبعدها تلقى عرضاً بعمل مسح كامل في إحدى المزارع، وقد أجاد وربع في مهمته وقد تمأصى أجراً ببلغ في حينه جيهاً وحفه من الشكليات نظير نجاح عملية المسح التي قام بها

وداع صبت جورج بين المزارع حتى أصبح ذو شأن في مجال المساحة، وحين
أدرك أهمية دوره وسبوعه المكور في مسح الأراضي قرر الرحيل من بلدته «غري
فارم» والانتقال إلى بيت شقيقه لورانس في مالونت هرنون. .

وعقب وصوله إلى هناك نما لعله أن اللورد الثرى فيرفاكس الذي اشتهر بأنه
أعنى الأعياء حيث يملك بمهرده حوالي خمسة ملايين من الألفنة قد وصل من
البحر وسوف يحل صيفا على المدينة ولن يتردد لورانس بالطبع في الالتقاء به كما
هو معتاد .



اللورد المتواضع

وحدث ما توقعه جورج حيث التقى مع اللورد فيرفاكس من خلال الصداقة العميقة التي تربط شقيقه لورانس به منذ سنوات . .

كان اللورد فيرفاكس قليل الكلام كثير التأمل محب للقراءة، يهوى المطالعة، لا يميل إلى محالطة النساء، ولا يميل من الاختلاء بنفسه، وهي كلها عادات تتعارض مع ما تتميز به ابن عمه السير ويليام الذي لا يكف عن الثثرة وإطلاق الصيحات والكلمات والفحش والذهابات. في إحدى ليالي الشتاء الطويلة استقبل اللورد فيرفاكس ضيوفه الذين وفدوا على بيته للاحتفال بأعياد الميلاد ورأس السنة الجديدة، وكان من بين هؤلاء الضيوف لورانس وجورج، وقد انخرط لورانس في صفوف المحتشدين فيما راح جورج يقف على باب غرفة الاستقبال يتأمل المشهد الذي لم يكن مألوفاً له.

كان لورانس وروجه «آن» كمادتهما في صدارة صالة الرقص، وقد أحضبهما جورج فيرفاكس شقيق «آن» وخطيبه سالي كاري تلك الليلة التي تمنع بصمات رائعة من حيث سلامح وجهها وعودها المشقوقة وشعرها الذي يتهدى في دلال على وجتيها وعيها الواسعتين حتى أن جورج قد أدرك في التو أنها أجمل فتاة في داخل الحفل.

وحين رقت هيئته على شقيقته الصغرى فكر لدعوتها لمراقصته، لكنه أبى وتراجع خوفاً من ألا تلبى مقصده . . ثم سرعان ما قرر بعد أن أشار عليه شقيقه لورانس بالمجيء إلى صالة الرقص وهو ما دفعه للتقدم نحو الفتاة الصغيرة التي طلب منها مرافقته لصالة الرقص وقد تملكه الحجل حتى أنه فوجيء بأنها أجابت

طلبه دون تردد أو تمكيز، وإن كان قد شعر بالدم من ذلك حيث رأى في ملامح تلك الفتاة الصغيرة صورة فتاة كان قد أحبها في مقبل صباه لكنها ابتعدت عنه في تطور معاجيء لم يكن متأهباً له مما كان له أكبر الأثر في عواطفه التي باتت لا تدفع لسج مثل هذه العلاقات العاطفية التي من شأنها تعطيم قلبه الذي بدا له وكأنه من رجاء يمكن لأية فتاة ألا تردد في كسره وتعطيمه وتهشيمه

على أية حال بدا جورج أمام لورانس شقيقه أنه عندهما وعارفاً حتى أدنيه في مراقبة تلك الفتاة الصغيرة، وإن كان لا يبادلها النظرات أو الكلمات العاصمة الطرية التي تسحر الالاب وهو ما لاحظته السير ويليام الذي يادر اللورد فيرفاكس بقوله:

- يحيل لي أن جورج هذا الولد الصغير شقيق لورانس يتمتع بالسلوك القويم؟ حيث أنه كما لاحظت حجباً للمعابة من الحس الآخر أليس هذا صحيحاً!

فأجاب اللورد فيرفاكس بخبرة الشيوخ: لا . لا . . إن ذلك بسبب بواضت الالام والحرن الذي عانى منه بعد وفاة والده وهو في سن مبكرة.

كان اللورد فيرفاكس معروفاً بكرهيته للنساء بعد أن خاض تفاصيل علاقة عاطفية مع سيدة لم تكن قد أحلصت له كما أحلص هو لها، الأمر الذي يشعر معه اللورد فيرفاكس أنه في غنى عن الاحتلاط بأية امرأة حتى لا يعاود مثل هذه التجربة القاسية التي ألمت به كثيراً ومازالت تلقى مظلالتها عليه رغم محاولاته وجهوده الشاقة في سبائها.

كان اللورد ينجذب نحو الفتى جورج يوماً بعد الآخر، حيث راقبت له طريقة جورج في امتطاء جواده ورشاقته وقدرته على تلقين الجواد دروساً عملية يقوم بها الجواد بمجرد تلقيه الأوامر من جورج، فضلاً عن مهارة جورج في تربية كلاب

الصيد والاعتناء بها . ثم إنه أحب في جورج رجولته المبكرة، ورجاحة عقله وحكمته وسلامة منطقته ورحمته، وإجادته القيام بعمل مسح الأراضي بمفرده.

وأمام هذه الأسباب المتعددة لطاقة الإعجاب التي يحصلها له اللورد في صدره أحس جورج أن هذا الرجل بات عوصا عن والده، وراح يتقرب من الرجل رويدا رويدا كأنه أحد أبنائه حتى يادره اللورد ذات يوم مسائلاً.

- قل لى يا جورج . . هل يمكنك أن تتولى القيام بإدارة بعض أعمالى فى مسح الأراضي؟

كان جورج أثناء سماعه تلك العبارة الاستهزامية يود أن يرقص أو يقفز فرحاً وطرباً على الأرض، أو أن يصرخ صرخة مدوية لعلها تبلغ مسامع والدته المكينة . . مشاعر الفرحه احتشدت فى قلب جورج وكادت تدمع حيناً، ها هي الدنيا قد أشرقت ببورها، وها هي السماء قد أمطرت بكرمها . . أوه ما أروع شقيقى لورانس هذا الذى صاع لنفسه مثل هذه العلاقات الثمينة!

كانت ملايين الأقدنة التى يملكها الرجل فى حاجة إلى عمليات مسح لوراعتها أو بيعها فيما بعد، وكان جورج غير فاكس شقيق أن زوجة لورانس يحمل مساحاً فى نفس الضيعة الشاسعة يرافقه رجل آخر ذو خبرة واسعة، وسوف يكون جورج واشطلى هو ثالثهم إن أراد ووافق أن يكون محس فريضهم

وبالطبع وافق الفتى على الفور، وكيف لا يوافق وقد كان ينتظر مثل هذه الفرصة الذهبية للإنهماك فى عمل لا ينتهى حتى يستطيع تدبير أمره، وشراء مزرعة بمفرده وتأسيس بيت جميل بداخلها بعد أن يتمكن من تجميع مدخرات تساعد على شرائه الذى طالما حلم به طوال السنوات العاتية.

الفصل الثاني

مذكرات جورج واشنطن

حيث تسلم جورج مهام عمله الجديد راح يقرر تدوين الأحداث اليومية واللمحات الدقيقة التي يعيش تفاصيلها يوميا . .

ففي يوم الجمعة الموافق الحادي عشر من شهر مارس ١٧٤٨ انغمس جورج في تسجيل أحداث ذلك اليوم . . فقد شهد صباح هذا اليوم قيامه مع جورج فيرفاكس عبر جواديهما برحلتهم في حقول التبغ الضخمة، وساتين الكريز الوردية تحيط برحلتهم من كل صوب وحلب. حتى راحت تندر معالمها كلما طال زمن الرحلة وشن الجواد طريقه حتى بلعا معا الأراضي الخلباء .

في صباح اليوم التالي استيقظا معا وقد اكتشف واشنطن أنهما قطعا نحو أربعين ميلا وقد التقيا في طريقهما كير المساحين المترجي، وتبعهم واشنطن مشلحا أحراش الخمال طوال هذا النهار حتى وصلوا إلى قمة جبال اللوريدج بعد ظهر نفس هذا اليوم، وقد بدا لهم في أسفل وادي شانلوا ذو المنظر الرائع وقد اتبسط أمام أعينهم في لوحة جميلة لا تمل منها العين، كان جورج واشنطن لا يعبأ بروعة تلك الصور الطبيعية الرائعة؛ حيث كان في تلك الأثناء يتصور جوعا ويكاد يقع مغشيا عليه من فرط هذا الجوع الذي التهم معدته التي بدت تخاوية حتى من الصبر، ومن ثم كان مسهمكا في حساب زمن العودة إلى الصلق الذي يقيم فيه للنوم وتناول الطعام . .

وفي صبيحة يوم الأحد الثالث عشر من شهر مارس ١٧٤٨ سار الثلاثة ومن بينهم جورج نحو مسع النهر قاصدين كوخ الصيد الذي يعد ضمن ممتلكات اللورد فيرفاكس . كان جورج شديد الإعجاب بما شاهده من أشجار الاسفندان ومن

الأراضي التي تتميز بجودتها وخصوبتها التي تحضرت وتلونت على يد المستوطنين الجدد، هانتجوا منها قمحاً وثبغاً بعد أن كانت جرداء صفراء

وفي يوم الثلاثاء الموافق الخامس عشر من مارس ١٧٤٨ سجل جورج في مساء هذا اليوم أنه في هذا الصباح قضى ساعات هذا النهار في مسح الأراضي، وقد أكد أنهم وصلوا إلى ما يطلقون عليه «المارش» فقصوا يومهم كله في عمل لا يتوقف، ولأن جورج كان يشكو ألم الإجهاد والتعب فقد استسلم للنوم في كوخ أحد رواد تلك العابات وقد خلغ عنه ملابسه كما اعتاد في منزله أو الصدق الذي ينهب إليه من ثم ذكر في يومياته قائلاً: «ذهبت إلى ما يطلقون عليه الفراش أو معدع النوم... ووجدته باللهول حرمة من القش المتلبد العاري لا توجد ملاءة، بل لا يوجد أي شيء باستثناء ملحمة عمدة كانت وكرا للقفل والبواقي»

وهنا أدرك جورج أنه تعجل في خلغ ملابسه وعاد مسرعاً لارتدائها مرة أخرى ثم راح يتمدد على الأرض بجوار زميله أمام الموقد محتمياً من شدة البرد

وفي يوم الجمعة كان قد مر على وجودهم في تلك الحبال نحو أسبوعها كاملاً، وقد بلغ بهم المسير نهر (البوتوماك) هاكتشموا أنه مكتظاً بالنفوح المائية المسافطة لنوها من القمم الحبلية وأمام تلك العقبة دفعوا حيولهم في وسط النهر لكي تتكس من عبوره مابحة إلى شاطئ مريلا ند وعلى إثر ذلك توجهوا صوب أحد المراكز التجارية الهندية، وقد ذكر في اليوميات: «لقد قطعنا أميالاً على أبشع طريق يمكن أن يمر عليه إنسان أو حتى حيوان، وقد كانت الأشجار المسافطة التي تراكت عليها الأعصان والشجيرات التي غاصت في مياه الأمطار من أبرز المعوقات والمشكلات التي واجهتنا أثناء سيرنا في هذا اليوم خاصة وأن السماء ظلت ترعد وتبرق وتقطر دون توقف».

وفي يوميات الأربعاء ذكر أنه في تمام الساعة الثانية من عصر هذا اليوم شاهدوا حشدا هائلا من اليهود في طريق عودتهم من ميدان الحرب، وقد بلغ حشدهم أكثر من ثلاثين رجلا، وكان معهم قروة رأس واحدة فقط بعد أن تعاطوا الخمر انعموا جميعا في وصلة رقص أطلقوا عليها رقصة الحرب..

وداح جورج يكتب واصفا هذا المشهد بقوله «أما طريقة هؤلاء اليهود في أداء الرقص فهي غريبة ومثيرة، حيث ينصبون حلقة واسعة ويوقدون في قلب هذه الحلقة شمعة هائلة من السار المستعرة، ثم يجلسون حول تلك النار وينطلق أمهرهم في الرقص على أن يتبعه الكل فيما بعد فيقفر ويجرى ويدب الأرض بقدميه بطريقة كوميدية، وكان لافتا للنظر عدم اصطحابهم لآلة موسيقية باستثناء جرة من الماء عليها جلد غزال وقطعه من اليقطين ربط فيها قطعة من ذيل فرس وبداخلها قليل من الرصاص حتى يحدث الرصاص صوتا مدويا فكان أحدهم يرح اليقطينة فيما كان الآخر يطبل على أن يرقص الجميع بلا هوادة»

ومر يوم الخميس على نفس المنظر في تلبهذ بعضاً من الوقت في مصادلة الحديث مع اليهود الخمر.

ورقص جورج واشنطن الأسبوعين التاليين في مسح الأرض برفقة زميله، حتى أنهم كانوا يحجرون نحو خمسمائة هناد يومياً وربما أكثر من ذلك في بعض الأيام الأخرى.

بعد انقضاء النهار في مسح الأراضي يحلّد هؤلاء الثلاثة للوم في إحدى الحياض التي شيدها، ويتناولون طعامهم من الدنوك الرومية التي تقع في مخابئهم المتصورة ثم يقومون بذبحها وتنظيفها وشواتها على نار هادئة

وهي إحدى الليالي امتدت نار الشواء إلى الأعشاب الحافة للمحيطات بالخيمة التي
يعرشونها للنوم، وقد تعرضت تلك الخيمة إلى الاندثار في مهب الريح بعد أن
هبت عاصفة عيفة أودت بقلوعها المضروبة في باطن الأرض.

وفي يوم الأحد الموافق للعاشر من أبريل حملوا أمتعتهم وفكروا روابط الخيمة
وامتطوا جيادهم متجهين نحو جبال البلوريدج، وفي يوم الأربعاء الذي يوافق الرابع
عشر من أبريل ١٧٤٨ عاد المستر ميرفاكس إلى يته سالما، وبالتالي بلغ جورج مآمه
في بيت شقيقه لورانس . وقد وصف مشاعر العبطة التي استحوذت عليه لدى
هروته سالما من تلك الرحلة الوعرة الشاقة التي أجهدته وأرهقتة وإن كانت قد أكسته
الكثير ممن لم يكن يتوقعه.



هجرة شقيقه لورانس

بعد أن عاد جورج واشطن من رحلته الطويلة التي تعد الأولى من نوعها، أوكل إليه العمل في مسح الأراضي في مدينة الاسكندرية الجديدة ومحاولة تحطيطها وهي تطل على نهر البيونوماك، وإن كانت تبعد عن ماونت مريون حوالي ثمانية أميال.

ومح جورج في إنعام مهمته، وجرت جميع الطقوس والاستعدادات لبيع قطع الأراضي في مراد على وقرر شقيقه لورانس أن يتواجد في هذا المزاد في أحد الأيام التي تلت مسح الاسكندرية اشتمى لورانس من ألم غريب يكوى جسده، وقد بدا مرتبكاً لا يدري من أمره شيئاً.

وأحس جورج أن الدنيا سوف تصير في عيبه رغم تقدمه وبهاجته المدهل يوماً بعد الآخر، بيد أنه أحس أن شبح والده بدا يطل أمام عيبه بين آخرين والأمر عذب رؤيته لشقيقه لورانس الذي تمدد على فراش المرض مستلقاً له

في ربيع هذا العام ويما كان لورانس طرح الفراش بال جورج اعتماداً المساحين الخبراء في أن يكون أحدهم اهترافاً منهم بدوره وبراعته

وعاد جورج يتولى مهام مسح الأراضي الحبلية التي يملكها اللورد فيرفاكس الذي كان يصدق عليه المال حتى يحبه مشقة العيش ودل السؤل من هذا أو ذاك لمرط حبه وامتنانه وتقديره له على ما يظهره من براعة وإجادة، وراح جورج بدحر أمواله ويكدسها حتى يستطيع شراء أول مررعة له قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره

وبالعمل لمحج جورج واشطن في شراء مررعة مكونة من ألف هدان وتبع ذلك شراؤه مررعة أخرى بلغت مساحتها أربعمائة وستة وخمسون هداناً وذلك قبل أن يحل عيد الميلاد ببضعة أيام، وقد انطلق لزيارة أمه وأشقائه في رفرى هارم ولزيارة شقيقته بيتي التي تزوجت في مرد ريكسبورج من مسنر لويس

استقلت الأم أنها بحفوة بالغة حيث لمطرته بقلايتها، ودثرته بحضنها الداهية،
الذى تاق إليه كثيرا، ومن ثم راح يركى على صدرها وقد أكد لها والدموع تنهمر
من مقلتيه أنه فى سبيله لإسعادها هى واشقاته، وأنه سيحوصهم كل ما فاتهم وأنه
أصبح من دوى الأملك، وهى الأنباء التى انخرجت معها أسارى الأم وتهللت معها
ملاحم أشقائه.

ولم يتردد جورج فى اصطحاب والدته لزيارة شقيقته يتي التى حمل لها كومة
هائلة من الهدايا لها ولزوجها، وقد اختلطت دموع جورج بدموع شقيقته يتي التى
وعدها بتوفير ما يلزمها من مال إذا ما لزم الأمر واقتضت الضرورات ذلك

وبعد أن قضى جورج بحر أسبوع بصحبة والدته واشقائه عاد أخراجه إلى مرمرته
لمباشرة أعمال بها، وبمهمة التى لا يستطيع الاستغناء عنها كأحد أمهر الماسحين
وأبرزهم على الإطلاق ومع عودته إلى مرمرته كل على يمه رغم مشقة السفر أن
يستبدل ثيابه ويتوجه لرؤية شقيقه لورانس للأطمئنان على صحته، بيد أنه لاحظ
اعتلالها وتدهورها بشكل ملحوظ التى فى قلبه الرعب من سوء المنقلب

فى تلك الأثناء كان لورانس قد قطع على نفسه القيام برحلة إلى الجزائر الهندية
لعله يسترد صحته وعافيته بعد أن يتشوق هوامها السقى، على أن يدع زوجته لا
يصطحبها حرمها على صحبة طفليهما الحديدة، ومن ثم قرر جورج اصطحاب
شقيقه فى تلك الرحلة مضحيا بكل أعماله فى سبيل البحث عن شعاء لورانس الذى
أحبه وعلى أهبة الاستعداد ليلد أى جهد من أجله.

وسافرا معا من نهر البوتوماك وبعد مرور أربعة أسابيع فى عرض البحر هبطا
إلى جزيرة ياربادوس ذات الأراضي الخضراء حيث أنها تشتهر بزراعة قصب السكر
والأنناس.

ورغم روعة المناخ ودفعه الشمس وبقاء الجو كانت صحة لورانس تتدهور شيئا فشيئا، وقد تعرض جورج للإصابة بالحصى ولهما عاد من هذه الرحلة التي أبحر فيها للمرة الأولى والأخيرة في حياته مشوه الوجه حتى أن لعظ أنفاسه بفعل الحصى . .

وفي عام ١٧٥٢ تدخلت يد الموت ورهق لورانس أنفاسه الأخيرة على صدر شقيقه جورج وهي وجود طعنته وروجه، ولم تكن مفاجئة تلك الوصية التي تركها لورانس والتي أوصى خلالها بتخصيص الجزء الأكبر من أملاكه لأخيه جورج كما أنه قد أوصى له بمنزله الكبير في مزرعة ماونت فرنون.

وهكذا تلقى جورج الصدمة الثانية بعد صدمته الأولى التي تلقاها في صغره بموت أبيه، وإن كانت تلك الصدمة تعد بالقطع أخف وطأة وأقل حدة من تلك الصدمة الأولى، فقد تركه الأب خالي الوفاض فيما خصص له شقيقه مساحة هائلة من الأراضي والأموال والميت الذي يتطلع الجميع للعيش بداحله، ومن ثم لم تكن تلك الصدمة مروعة بل كانت إلى حد ما قلبية نظرا لفراق شقيقه وحرمانه من عطفه وحنانه ودفعه مشاعره وإخلاصه، وصديق بيانه وحماته ورعايته التي احتضنته طوال وجوده في ماونت فرنون.

وأدرك جورج أنه لولا لورانس لظل على حاله لا يملك من أمره شيئا سوى أنه مجرد مآح بجوار والدته دون أن يرتبط باللورد الغني الذي توثقت علاقته به من خلال شقيقه الراحل . .

ولولا أن هذا الشقيق كان يتميز بإحادة مع العلاقات الاجتماعية ما كانت الأمور قد تغيرت إلى هذا الحد.

اليوم فقط أصبح جورج بفضل علاقات لورانس وطية قلبه بملك أكثر من ألف
وخمسمائة فدان بل وأصبح من أشهر المتاحين، وكيف لا وهو يحمل في ضياع
أعنى أعياء القارة الأمريكية، وتتردد على يمينه ويهمل من عطمه ومروءته وعطائه
وحبانه؟ وكل هذا يعود بالفصل إلى العرير الذي رحل عن دنياه

• • • •

الفصل الثالث

حرب الهنود مع الفرنسيين

بعد أن دأب صبيت جورج واشنطن في مدينة وليامز بيرج وغيرها عقب هودته من رحلته الطويلة لمح الأراضي المملوكة للورد فرماكس المتراصة في أحراش الجبال والأدغال والغابات، استدعاه حاكم الولاية الذي أمر بتسليمه بزة عسكرية مزينة برتبة رائد من أجل إرساله إلى مهمة عسكرية خطيرة في تلك المناطق الوعرة التي كان يتردد عليها أثناء عمله، وعلى الفور توجه جورج إلى مقر الحاكم الذي أبدى ترحاباً بقدوم جورج ثم سلمه خطاباً وهو يقول له بحرم وحسم - كأن جورج في ميدان حربي يتلقى أوامره من قائده - :

إن هذا الخطاب الذي مستعمله في رحلتك سوف تتوجه به إلى قائد حصن فرسي مرابط عند نهر الأواهير . وهذا الخطاب يا جورج قد أهدرنا دماً طويلاً في صياغته حتى يكون لائقاً بحامل الرسالة ومن بعث بها ومن سيتسلمها، فكتب بصياغة ماهرة هادئة رفيعة لطيفة وإن كانت حاسمة وشديدة الوضوح والدقة . . . إننا يا جورج نطالب قائد الحصن الفرنسي الذي أرسى قواعده داخل بلادنا أن ينادر منها فوراً ودون إبطاء أو تلكؤ، ثم أن مهنتك لا تقتصر على الرسالة وتسليمها فقط بل عليك أعباء أخرى ينبغي إنجازها، على رأسها رصد عدد قبائل الهنود الحمر الذين يتعاونون مع قائد الحصن، ثانياً أن تعرف كم عدد الجنود الفرنسيين الذين يتواجدون في هذا الحصن، ثم أخيراً ضرورة معرفة كم عدد الحصون التي شيدها هذا الحمرال في تلك الفترة الزمنية.

وبعد أن أنهى تكليماته سأله وهو يتوجه إلى مقعده: إنذ علمت بما هو موكول إليك يا جورج، ومن ثم أردت أن أعرف متى ستذهب إلى هذا المكان؟

فأجاب جورج في حماس، الآن يا ميلدي . الآن سوف أقوم بتجهيز أمتعتي وخيمنتى وسلاحى وطعامى وشرايى ومتطلباتى، وسأنتجه على الفور دون إبطاء إلى حيث تريدون.

وشد حاكم الولاية على يد جورج واشنطن متمياً له التوفيق في رحلته والعودة إلى مدينته سالماً غانماً، على أن هناك مكافأة كبرى في انتظاره حال عودته إذا هو استطاع إنجاز مهامه المكلف بأدائها على النحو الذى يتطلع إليه حاكم المدينة.

كانت تلك المهمة التى كلف بأدائها طبقاً لمذكرات جورج قد جرت وقائعها في صباح الثلاثين من أكتوبر ١٧٥٣، أى أن جورج لم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره، وهو ما يبرهن على مدى الثقة التى أولاها له الحاكم فى تلك السن المبكرة، وربما لذلك حرص جورج على إكمال مهمته حتى يكون هند حسن ظن الحاكم.

على أية حال أهد جورج ما يلزمه من كساء وعشاء وشراب وسلاح وبوصلات وهدايا مناسبة للهنود الحمر، ومرشد يهديه إلى الطريق الصحيح أثناء هذه الرحلة الوعرة، ومترجم ينقل ما يدور بينه وبين القائد العرسى لتسهيل مهمته

وبعد أن أتم جورج جميع متطلبات رحلته الطويلة المحصورة بالأخطار سواء من الطرق الجبلية المنحدرة، والشاهقة، والملتوية، والحلروية، والدائرية، والطولية، والعرضية وكافة الأشكال والأنواع، أو محاطر لقائه مع الجيش العرسى، أو مع قبائل الهنود الحمر، أو مع عصابات الطرق التى لاهم لها سوى الانقصاص على أية قافلة تمر بالقرب من أوكارها.

وانطلق جورج ووصل فى مدة رحلته إلى فرد ريكسورج لزيارة أسرته واحتضان والدته ووداعها، وقد أخبر والدته بمهمته وفائقها فى حاجته لرجل يجيد التحدث

باللغة المرنية؛ لكي يكون معينا في هذه المهمة فأرسلته والدته إلى أحد أبناء فردريكسبورج الذين اشتهروا بإجادة اللغة المرنية وطلاقتها، وهو ما أطمأنت له نفس جورج، وعرض على الرجل عرضا سخيا أقبله بالسفر معه في الحال .

وانطلق جورج بصحبة المترجم إلى جبال البلوريدج بواسطة جواديهما، وبعد مرور عشرة أيام وصل الرجلان إلى أبعد نقطة وصلها جورج في رحلته السابقة داخل العابات، ومن ثم أدرك أنه بات في حاجة إلى مرشد يهديه إلى حيث يوجد الحصن الفرنسي، وكان أن التقى عرضا مع رجل كان جالسا على باب حاتوت صغير يدعى «كريستوفر جست» وعرض عليه فكرته فوافق الرجل وأعلن حانوته وامتنى هو الآخر لجواده ثم أبدى اقتراحا لجورج بضرورة استئجار نحو أربعة من الرجال الأشداء الأكفاء الذين يجيدون لغات الهود . وبالفعل تمكن الرجل من إحضار هؤلاء الأربعة، وانجهت قافلة جورج واشتغل إلى قرية هاف كنج عند نهر الأواهيو...

وفي أثناء الرحلة نما لعلم جورج من بعض المارة أن نحو ثلاثة من قبائل الهود الأحمر قد أعلنوا انضمامهم إلى المرنين وأسقط في يد جورج الذي أصبح لا يدري هؤلاء الهنود في هاف كنج أعداء لنا أم من أصدقاءنا؟!

وقبل أن يقترب جورج من أبواب المدينة بعد رحلة طويلة تحت وسط الأنواء والرياح والمواصف والأمطار الثلجية وغيرها من المصاعب الماحية وقف جورج بالقرب من رافدان من نهر الأواهيو لدراسة المكان بدقة وحماية

ومن خلال دراسة جورج علم أن هاف كنج كان رافضا للوجود الفرنسي رفضا قاطعا حيث أنه يرغم أن الأراضي التي استولى عليها الفرنسيون تقع ضمن أملاكه، وكان الفرنسيون قد أدلوا كذبا أن هذه أراضيهم وقد ردت إليهم وهذه قرية حيث أنها تاريخيا أرض هندية.

وراح جورج ينصت لمحدثيه للوقوف على حقيقة ما يجرى من حوله في تلك المدينة، وظل منتظرا حتى يتلقى ردا من هاف كنج بالدخول إلى مقره وبالمعل بعث هاف كنج ثلاثة من رجاله لاصطحابه إلى مقره لتبادل الحديث حول طبيعة المهام المكلف بها.

وراح جورج بشرح لهاف كنج العرص من تلك الرحلة، وما يمكن أن يترتب عليها في حال نجاحها أو فشلها، وانعكاسات ذلك على مدينة السيد هاف كنج نفسه، وهو ما يتطلب دهم المدينة ورجالها لإغماح مهمته في طرد المرنسين سلما بدلا من اللجوء إلى الحرب، ولشاهد أن هاف كنج أرسل مع جورج نحو ثلاثة من رجاله لاصطحابه وإرشاده إلى الحصن المرسي

وعلى مدار أربعة أيام تبع جورج أثر الهنود الحمر الذين بعث بهم هاف كنج حتى وقعت أصيبتهم على منجر كان يرغف عليه العلم المرسي الأبيض الذي بدا جميل الصورة برسوم السوس المذهب، وكان في حماية أحد الرجال الذين بدت ملامحه تجمع بين الهنود والمرنسين، وقد أحبرهم أن الحصن يقع على بعد خمسين ميلا ثم أوقف الرجل قائلا: إن الإنجليز لا يدركون قوة الفرنسيين، وإن الإنجليز أسرى الأوهام إذا هم ظنوا أنهم يستطيعون طرد القائد المرسي وجنوده، وهم لن يرحلوا، ثم إن الحقيقة هي صالحهم، فالأرض هي أرضهم بالفعل، فأراضي وادي المسيسي والأوهايو كلها من اكتشافات القائد المرسي (لاسال) الذي وطئت قدميه عليها مد عشر سنوات.



قبل أن يقترب جورج من الحصن تذكر وهو يمضي في طريقه على صهوة جواده أن هذه الأراضي هي التي منحها ملك الإنجليز لشركة الأوهايو، وكان

لذلك معنى خاص في تفسير جورج، إذ كان شقيقه لورانس يشغل منصب رئيس هذه الشركة حين تم مع الملك هذه الأراضي، ومن ثم كان - حسب رواية لورانس - يسعى إلى تحصين هذه الشركة من غارات الجيش الفرنسي، بيد أن النية قد وافته قبل إتمام رغبته، ومن ثم كانت الممرضة مواتية للفرنسيين لإرساء قواعدهم وتشيد حصونهم.

وبعد أن جالت تلك الخواطر في رأس جورج وجد نفسه على مشارف القاعدة الفرنسية وقد أحسن الحاكم استقباله بوصفه الصاع جورج واشنطن، وقد تلم منه الخطاب في مودة واحترام ثم سرعان ما كتب ردًا على ما ورد في خطاب الحاكم الإنجليزي بعبارة موجزة قائلاً: لن أرحل!

وبعد أن قبول جورج بحماوة وترحاب وتوديعه بحسب درجة الحرارة والمودة، هاد إلى بلاده حاملًا معه الخطاب الموجز الذي بعث به القائد الفرنسي إلى الحاكم الإنجليزي، وفي طريق عودته واجه جورج الثعالب والصعاب مرة أخرى بسبب موجات السرد الفارس والمريب خاصة وأن الرحلة قطعت عدد فعايه أكثر من ستمائة ميل ومثلها بالطبع في طريق عودته، وهي مسافة طويلة ومرهقة ووهرة وشاقة خاصة أنها تمت في شهر ديسمبر وما أدراك ما ديسمبر

وفي طريق عودتهما واجه جورج ورفيقه الموت أكثر من مرة، حيث نجحت كل الأشياء من حوله بفعل الأمطار الثلجية التي لا تتوقف، ومن ثم كادوا يعرفان معا عند عبور أحد الأنهار المتجمدة، وقد سقط جورج من بين الثلوج في ثغرة كادت تهوى به إلى قاع النهر. ثم واجه الموت حين أطلق عليهما أحد قطاع الطريق من الهود الرصاص طمعا فيما كان في حوزتهما من مال وهنايا لولا عناية الله لهما.

وفي صباح السادس عشر من شهر يناير ١٧٥٤ وصل جورج واشنطن إلى مدينة وليامزبرج الأمر الذي أثار دهشة الحاكم الذي هوجيء بأد جورج واشنطن واقفا متمسكا بقامته العارعة أمامه، ثم عاد لأجابه بعد لحظات وقد بدا سعيدا مستبشرا من ملامح جورج، وها هو سوف يقص عليه ما حدث في رحلته الخطيرة، وها هي المعلومات سوف يعرفها حول حقيقة الموقف الفرسى ومدى قوته وولاء الهنود الحمر وموالياهم. مستقلا من هذه الأراضى.

وعلى الفور قدم جورج تقريرا وأما شافيا للإجابة على كل هذه التساؤلات التي كانت بمثابة صواعق يلقى رأس حاكم الولاية بعنف، ولا سبل له للحصول على ما يشفى قلبه هواجسه وظنونه التي كانت تفتسه كلما ران بخاطرته هذا الأمر



بعد أن نجح جورج في إتمام مهمته الأولى والحصول على جميع المعلومات والبيانات التي كان يتطلع إليها حاكم الإقليم الإنجليزي. . كلف مرة أخرى بالقيام بمهمة أخرى في نفس المكان بعد مرور حوالي أربعة أشهر من عودته، وذلك لوضع حد فاصل للوجود الفرسى في أراضي الأوهايو.

وتوجه جورج على رأس قافلة عسكرية حاصلا معه أمر الحاكم العام، ولم يكن خطايا كسابقه خاصة وأن الانجليز كانوا قد قرروا المضي قدما في بناء أحد الحصون على رأس مدينة هاف كنج ولكن تصدى الفرنسيون لهذا المخطط حين استولوا على شحنة الأحشاب التي كانت قد وصلت لتطيش الحصن، وهو التصرف الخطير الذي جعل المواجهة العسكرية بين البلدين.

وعند منتصف الطريق وبالتحديد في منطقة «جريت ميلو» أقام جورج معسكرا خاصا بهرقته العسكرية في معة تحاصرها التلال والري من كل جانب، ثم أنشأ في

التو حصنا مؤقتا ولكن اختيار هذه القعة للكشوفة كان اختيارا غير موفق، وهو ما يبرهن على جهل جورج بأبسط العلوم والفنون القتالية.

وفي ساعة متأخرة من ليلة شتاء كانت مطيرة وجلبدية استقبل جورج أحد رسل هاف كنج حاملا معه رساله جاء في متنها أن العرسيين قد ملعوا أماكن قرية مهم للعاية ويقدر عددهم بنحو ثلاثين رجلا وربما أكثر من ذلك قليلا.

وظن جورج واشنطن أنهم ربما كانوا جواسيس وأن الفرنسيين قرروا مساعدتهم دون إبدار ومن ثم هرع إلى إعداد رجاله وتجهيز عتاده لمواجهة وشيكة بين ساعة وأخرى.

ووقع اختياره على أربعين من الرجال الأشداء، ومشوا في بهيم الليل المطير يفتحون أثر الهندي رسول هاف كنج وشقت حيلهم الغابات التي كانت سابعة في مياه الأمطار حتى وجدوا أمامهم هاف كنج نومه، وعند بروع خيوط نهار جديد وقف الهندي وهو يشير بأصبعه ناحية حجرة عميقة في الأرض قائلا،

الفرنسيون هنا يا سيد جورج!!

لم يتردد جورج واشنطن في إصدار أوامره بإطلاق النار على هؤلاء الجود العرسيين ولم يثن الفرنسيون الرد على قوات واشنطن حيث أعجزتهم المعاجاة التي كانت لصالح واشنطن ورجاله، وعلى أثرها وقع نحو عشرة قتلى ومن طليعتهم قائدهم ووقع الباقين في قبضة الأسر، الأمر الذي بعث على نفس جورج البهجة والسرور رغم الفرع الذي أصابه بعد إطلاق الرصاص الذي سمعه من قرب لأول مرة في حياته بعد حادث إطلاق الرصاص الأول الذي تعرض له على يد الهود الأحمر، لكن لم يكن يمثل هذه القوة والعنف.

وبعد أن احتفل جورج وجسوده مع هاف كنج بالانتصار الساحق الذي حققه هوجيء في الثالث من شهر يويه بقدم نحو خمسمائة جندي فرسي تملكهم ثورة

عضب ومن حولهم عدد ضخم من جنود الهنود الحمر لمهاجمة واشنطن ورجاله
ثاراً لزملائهم الذين قتلهم والذين مارلوا في قبضة الأسرى، وزعموا أن هؤلاء الذين
قتلهم واشنطن ورجاله إنما كانوا رسل سلام يحملون رسالة إلى الحاكم الإنجليزي
ولم يكن لهم شأن بالقتال.

كان عدد رجال واشنطن في هذا اليوم البائس أقل من نصف عدد الجنود
الفرسيين الذين وفدوا لمهاجمته، فضلاً عن هروب هاف كنج وجنوده، حيث لمحا
نصفه من الوفود في معامرة عسكرية لا تافهة له فيها ولا جمل، ومن ثم أثر الابتعاد
حتى لا يقع قتيلاً أو أسيراً راجياً من الله أن يقضى الطرفين على بعضهما البعض
لعل الأمور تعود إلى سابق عهدها قبل ظهور تلك القوات الطامية سواء كانت
الفرنسية أو الإنجليزية.

وفي داخل حصن واشنطن أبلى رجاله بلاء حسناً ومقاتلاً في حوزتهم من
إمكانات وقدرات، وإن اضطروا في آخر النهار إلى إعلان الاستسلام.

وعلى ضوء شموع أطلعتها الرياح أكثر من مرة تلا الفرنسيون نص وثيقة
الاستسلام كي يزيلها جورج بنوقيه، وهي تنص على أن تشرّد فرنسا جنودها
الأسرى وأن يتعهد جورج بالآ يعود مرة أخرى إلى هذه الأراضي قبل مرور عام،
وقد اضطّر جورج تحت وطأة الموقف العسكري المهيمن أن يوقعها في صيق وأسى

وبعد أن قام بالتوقيع سمح له قائد القوة الفرنسية بالمعادرة والعودة هو وجنوده
إلى ولاية فرجييا، وقد ألقت هذه الهزيمة بكل شعائرها على مصيراته التي بدت أنها
في أسفل سافلين على عكس ما كان عند عودته من رحلته الأولى

وربما أدى تدهور حالته المعنوية إلى تعرضه لوعكة صحية ألزمته الفراش بضع
أسابيع في بيته الكائن بمنطقة ملونت هرنون، أثناء ذلك وصلت إلى إنجلترا عدة نماذج

من الوثيقة التي قام واشنطن بتوقيعها، وعندئذ أدرك الإنجليز أن الفرصة نالت موافقة للقضاء على الفرنسيين المتواجدين على الأراضي الأمريكية وذلك قبل أن يستمحل خطرهم وتقوى شوكتهم إذا تحالف معهم الهنود الحمر.

وهي بداية الصيف أقبل الجنرال «برادوك» قادما من إنجلترا ليرأس كتيبة الجنود، وقد اصطر جورج واشنطن أن يعمل تحت لوائه، ولكنه تلقى تكليفا آخر يهدف إلى السيطرة على الحصن الكائن عند رأس نهر الأوهايو، ولأنه كان يشكو لما في بطنه فقد حشى أن يتطلى جواده رغم مهارته ورشاقته وبراعته في ركوب الخيل، بيد أنه اصطر أن يستغل إحدى العربات المحصنة لنقل العناب الحربي وظل بها عدا على ظهره، وكانت العربة تهره هذا قويا وكان يشكو ويتعمر من الوقت الذي أهدره الجنرال الإنجليزي، لقد كان الجنرال «برادوك» قائدا طامحا في المس، وإن كان يتمنع بقدر وافر من الخبرة والحكمة، ولكن كان جوده على العكس من ذلك لا يملكون سوى حبرات المواقع التي جرت فقط في أوروبا.

ولم يخطر أي منهم في أية موقعة برية، ولم يكونوا قد سمعوا عن وحشية الحروب الهندية ودعائها الرهيب، وقد جهلوا أن الهندي يظل محتثا خلف شجرة ثم يزحف نحو قريته حتى تنسى له الفرصة للانتقام على غيرها في الوقت الملائم.

وبسما كان الإنجليزي في طريقهم إلى مواجهة الحصور المرنية فوجئت القوة الإنجليزية أثناء سيرها في قلب الغابات والأحراش الجبلية بمن يطلق صرخة مدوية من حولهم ليعقبها وابل من الطلقات البارية التي ألحقت منهم أرواحاً عديدة، وأشاعت بينهم حوا من الهرج والمرج والقوضى التي سادت المكان، الأمر الذي دعا الجنرال برادوك للصرخ في وجه رجاله من أجل الحيلة شملهم بعد أن تبعثرت

قوتهم، وقد كان جورج على حالة يشكو آلام الحمى التي أصابته ولم يكن قد شفى منها بعد.

ورغم ذلك فقد اتهمال الرصاص من حوله حتى كاد يسقط قتيلا من هول الطلقات التي كانت تساقط بالقرب منه، حتى أن جواده الذي كاد يمشقه قد سقط أثر طلقات نارية اخترقته فأردته صريعا . ومن ثم امتطى جواداً آخر كي ينجو بحياته من موت بات وشيكا وعلى حافته، رغم ما أبداه من شجاعة وجسارة وبسالة رغم شدة آله فقد كان يواجه العدو وبشاسة وحدة لا نظير لها حتى كان مضربا لأمثال الجنود، نموذجاً للفارس والمقاتل والجندي المستبذ الباسل

الواقع أن جورج واشنطن الذي حاصره المرض وكاد أن يشل حركته وانهمر عليه الرصاص من كل جانب لم يكن يبالى بمرضه أو بالرصاص الذي يتساقط كحبات الثلج من حوله، بيد أنه كان يشق غمار المعركة يمينا ويساراً حتى أثار عاصفة من الدهشة والإعجاب لكل من رآه وسط أتون تلك المعركة الشرسة العيفة

ولكن على الرغم من الأداء البطولي لواشنطن ورفاقه إلا أن المهزيمة القاسية كانت من نصيبهم، حيث تعرض القائد برادوك إلى إصابة خطيرة كادت تؤدي بحياته وقد نقله واشنطن نفسه إلى صاحة للعلاج ظل بها نحو عشرة أيام حتى لفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بإصابته المبالغة، وقد وري جثمانه التراب بعيداً عن عيون الهنود الذين بصطادون فروات الرؤوس.

وفي عام ١٨٧٥ عاود جورج واشنطن الكرة مرة أخرى بصحبة الجنود الإنجليز إلى حصن لوهايو . . وما أن لو شكوا على الاقتراب من الحصن حتى أشعل الجنود الفرنسيون النار داخل الحصن ثم غادروه على أثر ذلك.

وأمام هذه الواقعة فقد المرسيون كل ما كان في حوزتهم داخل منطقة شمال الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم صبح جورج نفسه اسما طيا وبراقا عقب سقوط الحصن وحروج المرنيين

وهي إحدى المؤتمرات الشعبية، والاجتماعات السياسية التي أقامتها ولاية فرجيسا عقب عودة الجيش معلنا انتصاره على المرسيين أشاد الرئيس بجورج واشنطن وهما على انتصاره الساحق وعودته المظفرة قائلا

«دهوى أتوجه بالشكر والعرفان، ثم المنتهة لطل فرجيسا على ما أبلاه وما قدمه لبلاده من شجاعة وهناء وبذل وعطاء وسلوك اتسم بحس الخلق وإصراره على طرد المرسيين، سواء كان ذلك من خلال انتهاج السلم والحوار أو اللجوء للعنف وإصرام البار وهو ما كان، وإن كانت قد اشتعلت بأيديهم لأنهم كانوا على يقين أننا لن نهذا ولن نلن أو نستسلم حتى تعود لنا أراضينا التي سلبوها منا، وكان جورج واشنطن هو الذى كان وراء هذا الانتصار الساحق وطرد الغزاة من أراضينا» .

من ناحيته أراد جورج واشنطن أن يرد على الحاكم نحيته ومدحه وإطراءه، بيد أن الجماهير العفيرة كانت قد احتشدت من حوله تهته وتقلبه وتعانفه وتحنضه، ومن ثم عجز عن الوصول إلى المنصة رغم محاولاته فبادر الحاكم العام قائلا

«إجلس مكانك يا سيد جورج . . إن تواصلك بعادل شجاعتك قيمة وقامة، وهذا في حد ذاته يعوق قوة أية لغة أخرى هي تقديري . اجلس يا سيد واشنطن»



الفصل الرابع

زواج جورج واشنطن

في مساء السادس من يناير ١٧٥٩ شهدت مدينة وليامز برج حفلا رائعا بمناسبة زفاف بطل مرجيبيا جورج واشنطن على لوملة شابة كانت تسم دون صغيرها بالشراء الفاحش والجمال الطاعى وتدعى مارثا كوستيس.

كان جورج قد شاهد تلك السيدة أثناء حفل زفاف في إحدى الكنائس، وقد بادلت إعجابا بإعجاب حيث التقت عيونهما للمرة الأولى في هذا الحفل ولم تبارح خياله منذ تلك اللحظة، وبالتحديد في أواخر أكتوبر عام ١٧٥٨ وقد راح يستمر من تلك الفتاة التي تتمتع بقدر عال من الجمال، فأخبره أحدهم أنها أرملة لأحد أثرياء مرجيبيا وأنها تملك أموالا طائلة وأراضي شاسعة وطفلة جميلة وطفل رائع، وتتطلع للزواج لمن يدير لها تلك الثروة لكنها لا تريد أى أحد بل هي في انتظار من نظمت له مصفا ويرتاح له قلبها، لأنها ترغب في الارتباط بمن يمنحها الحب والدفء والحنان كما كان روحها من قبل أن يموت ويرحل عن الدنيا، ووجد جورج نفسه هو الرجل المناسب لتلك الأرملة الشابة الجميلة، وهو الذى يهوى إدارة الأملاك الزراعية ولا عسرة في ذلك فقد كان ولا يزال يملك أكثر من ثلاثة آلاف من الأقدان وأصبحت مزرعته من أكبر وأوسع المزارع وأوفرها وأكثرها إنتاجا، وزاح جورج يتسائل في نفسه لماذا لا يتزوج تلك السيدة إنها جميلة وعية وذات سمعة طيبة وفى أشد الحاجة إلى رجل يحميها ويحمى أولادها ويمتلكانها، وهأنا هذا الرجل الذى يملك الصمات والسمات التى تبحث عنها تلك الأرملة العاتية، ثم ماذا في الأمر؟ إننى أعتبر أن طفليها هم أطفالي بل وسوف أعتنى بهما فلا ديب لهما أن

مات والدهما وتركهما، ولعلى أصمى عليهما حنانا فقداه ودفنهما تافا إليه وجبا
حرمهما موت أبيهما منه فلماذا لا أكون أنا هذا الرجل؟

وأرسل جورج رسل الحب والوثام إلى تلك الأرملة التي كانت بالطبع تسمع عن
جورج وبطولاته ودوره في حروب الفرنسيين وانتصاراته وانكساراته واقتترانه من
الحكام الانجليز وحطة الوافر من المال والثروة والضيعة والأراضي والدكاه والحكمة
والعطاء والصداقات وكلها مسوغات أعانت جورج على الارتباط بتلك السيدة العاتنة
الحسنة.

وعلى الفور وافقت ودون تردد على عرض جورج واشطن، وقررا تحديد
موعد الزفاف بعد أن اشترطت حتى معاملة أطفالها، وعدم التلويح على نحو أو
آخر بالاستغناء عنهما أو الضيق منهما، وهو الشرط الذي وضعته الأرملة ضمانا
لحياة كريمة وسعيدة، وهو أيضا ما ألغى به جورج طوال سنوات زواجه منها

الشاهد أن جورج اصطحب عروسه إلى إحدى المدن البعيدة لقضاء شهر العسل
في الشتاء ثم سرعان ما عاد إلى مدينة وليمز بيرج التي كانت بها كل أنواع الترفيه
والمتعة والسعادة والمرح.

وبعد انقضاء الشتاء وحلول فصل الربيع حزمت أسرة جورج واشطن أمتعتها
وحملتها على متن حربة خشبية ضخمة يجرها خيول شابة صبية تشق الأرض شقا
لتبلغ بيت واشطن في ماونت فرنون.

وأمام البيت هبطت السيدة زوجته وطفليها باتسي وجاكي ودخلا بصحبة جورج
إلى البيت الواسع الكبير، وقد كان الخدم والحشم في استقبال الأسرة الجديدة
وأبدت العروس ترحابها بهذا البيت الذي شعرت معه باللفة والترابط منذ الوهلة
الأولى رغم أنها لم تكن قد رآته من قبل.

صحيح أنها أبدت بعض الملاحظات الهامة لتغيير بعض من ملامحه واستبدال بعض أثاثه ليتناسب مع أسرة جديدة بعد أن كان متاسياً لفرد واحد هو جورج واشنطن الذي وافق على الفور مبدئياً تفهمه لهذا التغيير الجديد، ومن ثم وجب عليه الرصوح لملاحظات زوجته التي كانت محل اهتمامه ومن مساعديه الذين دونوا ملاحظاتها في مملكة لبدء العمل في الترتيبات لمرافقتها ولأوامرها.

وصعدت الأسرة إلى الطابق الثاني وكان المنظر رائعاً حيث نهر البوتوماك والحدائق العناء تحيط بالقصر من كل مكان ثم تنقل بهم إلى الأماكن المخصصة لإعداد الطعام وغزل الصوف وغرف نوم الخدم.

ثم سرعان ما ألقت الروجة بكل ثقلها على السير الحديري بعد عشاء يوم طويل وهي في أوج سعادتها وبهجتها من هذا البيت الذي لم تشعر نحوه بالاغتراب أو الضيق.

أما واشنطن فقد كان ملماً بأصول وقواعد الزراعة ومن ثم كان قد بذل قصارى جهده في زراعة الأرض عند مطلع الصيف خاصة وأنه كان محباً للزراعة وعاشقاً لرائحتها، ويقدر رؤية الأرض السوداء التي شغها بمحراثه وبذرهما بحبويه قد انتبت وانضجرت ونورقت وأثمرت وحصدت وأنتجت.

كان واشنطن جاداً في أداء عمله حيث اعتاد على ذلك منذ أن كان مساحاً لا محل للهزر أو الاسترخاء أو تأجيل عمل اليوم إلى الغد وما بعد الغد، لكنه كان معروفاً بصراحته وشدته وإصراره على إنهاء وإجاء المهام الموكولة إليه أو تلك التي أوكّلها هو لنفسه راضياً الاعتماد على الآخرين.

كان أيضاً مراعياً في تفوين الحسابات والأرقام، وتسجيل المذكرات التي لم يكن يمل من كتابتها يومياً واصفاً كل ما يدور من حوله سواء الأحداث الأسرية العادية أو المناخية أو السياسية أو الإنتاجية.

الشاهد أن حياة جورج الجميلة وسط زوجته وطفليها كانت هائلة وسعيدة ولم يورثها فيها سوى إصابة زوجته بمرض الحصبة كما ذكر هو في معرض مذكراته وأنه قد استدعى مسالى فيرفاكس انة اللورد لزيارتها ورؤيتها للوقوف على حالتها الصحية.

وكان يداوم على زيارة أمه وشقيقتها بيتي من وقت لآخر، ويمد يد المساعدة لأشقائه سام وجاك ونشارلى، وأنه - كما يذكر أيضا في سطور مذكراته - كان يهوى زراعة أشجار الصوبر في فصل الربيع، وأشجار الخوخ والكرز وراح يجرب آلة جديدة لزراعة الشوفان والشعير، وأنه كم تناول طعام العشاء في بيت جورج ومسالى فيرفاكس ثم كثيرا ما قام بدعوتهما على العشاء في منزله في ماونت هربود.

وكانت زوجته مارغا الرقيقة منهمة كمادتها في شغل الجوارب بأبر التريكو وأنه التقى رنجيا مريضا ضام بنقله إلى يته للمداواة والاعتناء به، وأن كلبه البيت ألجيت نحو ثمانية وأطلق على كل جرو منها اسما، وطلاها بالدهن حين تعرضت للإصابة بالحرب.

وأنه قضى ليلة في مرقص بالاسكندرية وكانت الموسيقى رائعة وقد حدث أن توجه ذات مرة لصيد البط واقتناص الثعالب وصيد السمك ثم حرص على وصفا للحياة الزوجية السعيدة التي يعيشها، وأن أحواله بعد الزواج تختلف كلياً عن أحواله قبله، وأن الرواح نعمة والله قد أنعم عليه بروحة رقيقة ناعمة حنون ذكية بارعة غير ثائرة ولها طفلان جميلان بادلهما حبا بحب، ولم يكن أبداً زوجاً لوالدتهما بل كان جورج بمثابة الأب وربما كان أكثر حناناً من أيهما لو كان على قيد الحياة



الفصل الخامس جورج والانتخابات التشريعية

بعد أن أصبح جورج واشنطن هو اقرب الناس إلى قلوب أهل فرجيبا وأكثرهم إخلاصا وكندا وعملا في ميل مصالحتهم، أشار البعض عليه بضرورة خوض انتخابات المجلس التشريعي لفرجيبا حتى يتمكن من خدمة الجميع ومحاولة تدليل الصعاب والمتاعب التي تواجههم.

وأمام رغبة جماهير فرجيبا وأمالهم في تنصيب جورج عضوا فاعلا عاملا في المجلس التشريعي اضطر جورج للحضور أمام رغبة أهالي ولايته؛ لعله يستطيع أن يسدى خدماته إليهم من خلال هذا المجلس النبلى الذى يمنح صلاحيات واختصاصات وامتيازات واسعة لأعضائه، وفي عام ١٧٦٠ خاض جورج انتخابات المجلس للمرة الأولى في حياته، وقد تمكن من الفوز على منافسه بمبارق في الأصوات برهن على شعبية جورج الواسعة بين أهالي فرجيبا ومدى المشولية التي ألقيت على كاهله من جراء هذا الفوز الساحق.

وبالعمل أضفى جورج عضوا بايا لا يشق له غبار، يصول ويجول ويستفسر ويشرح ويسأل ويلاحق ويطارد ويلح ويهرح ويلوح بيديه، ويضرب الأرض بقدميه والدعاء تعالى في عروقه من أجل حياة كريمة هائلة لأهالي فرجيبا الذين أحبوه فأحبهم ومنحوه أصواتهم فلم يخفل عليهم بجهد وعرقه وكده وكماحه وبضاله حتى أصبح مرور الوقت أبور والمع عضو تشريعي داخل المجلس، وغما لامعا في سماء المدينة، وقائدا سوف يكون له شأن عظيم كما رأى البعض ذلك من خلال شخصيته وإدارته وعلاقاته ومنهجيته وأدواته وطريقة تناوله للأمور.

في نفس العام ١٧٦٠ تلقت فرجينا اتهام سكرة تشير إلى اعتلاء الملك جورج الثالث عرش الإمبراطورية الإنجليزية، وقد كان لهذا الخبر أثرا حميدا على المستعمرات الإنجليزية ونوابها، ومن ثم لم تكن فرجينا بعيلة عما يجرى داخل الدائرة البريطانية بوصفها واحدة ضمن مستعمرات التاج الإنجليزي

واستقبل أهالي فرجينا الخبر بالرقص واللعاء والدعاء الوطني المأثور «عاش الملك فليحفظ الله الملك». وراح البعض الآخر يتناول المشروبات الكحولية طربا وفرحا بتلك المناسبة الوطنية

ورغم الحفاوة التي قوبل بها ملك الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس من جميع أهالي المستعمرات الإنجليزية فقد تلقى قبضته الحديدية على رؤوس تلك المستعمرات، حيث فرض العديد من القوانين الاستثنائية التي تهدف إلى تقييد الحريات، وتكسيم الأفواه ومصادرة الآراء الحرة المستبشرة التي قد تتعارض مع سياسة الإمبراطورية، وهو ما أدى إلى استهجان أعضاء المجلس التشريعي وثورتهم ضد سياسة الملك الجديد.

الشاهد أن الحكومة البريطانية أصدرت قوانينا تتعلق برسوم التمضنة، وأمرت المجالس التشريعية في جميع المستعمرات الإنجليزية البدء في مناقشة بنوده والإقرار بما جاء بها من أجل تمريره في أقرب وقت، حتى يمكن العمل به طبقا للوائح، وفي داخل المجلس التشريعي فرجينا ثار النواب وهاحوا وانتفضوا ضد هذا القانون بعد أن صاقوا درعا سياسة ملك البلاد جورج الثالث الذي لا يدخر وسعا في التضييق على الشعوب التي تدور في الملك الإنجليزي.

الحاصل أن جورج مذكاته السياسي أدرك أن ثورة النواب وهياجهم ضد سياسة الملك قد لا تؤتي ثمارها، وربما تدفع بهرجيا إلى مجهول لا تحمد عقباه خاصة

وأن الملك جورج الثالث اشتهر دون غيره بضيق أفقه ونفاد صبره وهو ما يتطلب التعقل والتروي عند تناول أية قضية يمكن أن تؤثر بالسلب على فرجينيا وشعبها.

وبعد أن أعلن النواب تدميرهم وسحقهم واستيائهم من رسوم قانون التمتع بالحديد، وقف جورج واشنطن بقمته العارعة وملاحمه الحادة المتجهمه وقد أبدى اقتراحاً يقضى بضرورة الكف عن الهجوم الحاد والعبث على الملك جورج الثالث مع التعجل في كتابة رسالة عاجلة يوقع عليها جميع أعضاء المجلس تعبر عن ضيق الأعضاء بما ورد في قانون التمتع، واستحالة تطبيقه على أرض الواقع، لما له من مردودات سلبية وخطيرة على حياة الناس، وهو ما قد يدفع بالأمور إلى ما لا يمكن أن يتوقعه أحد ولاقت الفكرة قبولا وترحابا من جميع أبناء للمجلس التشريعي بما فيهم الأعضاء الذين صرخوا وهاجوا وثاروا وصاحوا بأعلى صوتهم للإعلان عن رفضهم لهذا القانون.

لكن على الرغم من وجاهة فكرة جورج وحكمتها الثالثة فقد رأى رئيس المجلس أن هذه الرسالة في تقديره بمثابة تهديد وإنذار لحالة الملك جورج الثالث وهو ما لا يستقيم بحال من الأحوال مع جلالته، ومن ثم رفض أن يسمت بها، فصلا عن أنه - رئيس المجلس أصدر قراراً عاجلاً يعبر عن مخاوفه وهواجسه، وذلك بحل المجلس التشريعي تمهيداً لعصا الملك الذي سوف تصل لمسامحه أثناء ما حدث وقد يتطلب الأمر إنزال العقاب برئيس المجلس، الذي اضطر صاغراً لتأمين موقفه وإبداء رأيه فيما حدث من اضطرابات وذلك بحل للمجلس التشريعي، وحدث أن قول هذا القانون التعسفي بمظاهرات واحتجاجات صاخبة في جميع المستعمرات الإنجليزية، الأمر الذي أدى إلى تجميده وسحبته من للمجلس التشريعي إثارة للسلامة بعد أن كثرت الجماهير العاضبة عن أنيابها وثاروا أعصابها وإن استطاعت أن تتحكم بها في تلك المرة.

ولكن كمادة المستعمر الإنجليزي فقد ألف حول القانون العرفي وذلك بإصدار قانون آخر يقضى بضرورة فرض رسوم ضريبة على جميع السلع المباعة والواردة من إنجلترا ومن ثم راحت السلطات البريطانية تفرض رسوماً باهظة على الرجاج والأطباق ومواد الباء والشاي والألوان والدهانات والملابس والمنسوجات

ولأن أبواب (الكابيتول) أو للمجلس التشريعي بفرجينيا كانت مغلقة أمام الأعضاء ولم يعد بمقدور أحد منهم إبداء رأيه من حيث القانون والدستور داخل قاعة المجلس فقد اضطر الأعضاء على التوجه إلى مطعم (رالي) للاجتماع بداخله من أجل مناقشة هذا القانون التعسفي الذي أدى إلى تدمير جميع ثروات أبناء فرجينيا.

وعند بدء افتتاح الجلسة داخل مطعم رالي كان جورج واشنطن واقفاً وفي يده ورقة تأملها طويلاً قبل أن يقرأ منها ثم، سرعان ما راح ينظر إلى الجميع في ثبات كأنه يطالبهم بالكف عن الكلام حتى يبدأ كلمته التي ينبغي أن يسمعها الجميع، وبالفعل اضطر جميع الأعضاء الحاضرين والجمهور العميرة التي كانت تقف خارج المبنى إلى الانترام بالصمت لسماع ما سوف يرد على لسان جورج واشنطن هذا الشاب النبىء والواحد. ثم راح جورج واشنطن يقول بصوت عالى البراث:

هذا الذى فى بدى خطاب وارد من فيلادلفيا يبلغنا أن شعبها اتفقوا جميعاً على مقاطعة السلع التى فرضت السلطات الإنجليزية الضرائب عليها بغير وجه حق وبما لا يتناسب مع الأعباء المعيشية الثقيلة التى يتحملها المواطن ويثن منها . وقد قرر أهالى فيلادلفيا عدم الشراء من تلك السلع إلا بعد أن تراجع الحكومة فى لندن وتسحب هذه القوانين الظالمة؛ ولذلك اقترح عليكم أن تتخذوا من مثل هذا التصرف العبقري نموذجاً يحتذى به من أجل التعبير عما فى صدورنا، ومن ثم أدعوكم جميعاً ودون أن يستثنى أحد بمقاطعة هذه السلع وعدم شرائها إلا بعد أن يتقرر رفع الضرائب المفروضة عليها.

وقبول اقتراح واشنطن بتصفيق حار وشعارات وطنية وكلمات حماسية من الجماهير والأعضاء معاً، وقد أبدى جميع الأعضاء موافقتهم على هذا الاقتراح وسرعان ما وردت أخبار تشير إلى أن أهالي ماشوسن وبعض المستعمرات قد قرروا فيما بينهم تنفيذ هذه القرارات داخل بلادهم احتجاجاً واعتراضاً على هذه الإجراءات الخائفة. وبدأ للجميع أن الأمور نير من سىء إلى أسوأ، وأن الشعب إذا هو قد أراد الحياة فلي يستطيع أحد أن يحه، وأن عصاة الشعوب لا تقى ولا تدرك.

وبالفعل وفي عام ١٧٧٢ وبينما كانت الثلوج تساقط، والرياح تشتد والعواصف ثور وتمور، والسماء ترعد وتبرق، والأرض تغرق في جليدها، فى هذا اليوم العاصف المطير بالتحديد أقبل رسول من مطعم (رالى) لاهتا تكاد نبضات قلبه تسمع من حوله وقد حمل أخباراً مثيرة حظيرة من بوسطن حيث أكد أن ثلاث سفن مكعدة بالشاى قد وصلت إلى ميناء المدينة وأن بعض العمال ارتدوا أزياء اليهود الأحمر وصعدوا إلى السفن الثلاث بمعجة إنزال للشحنة إلى الشاطئ. فإذا بهم يلقون بالشحنة فى مياه البحر.

ولما نجا ذلك للمسؤولين أصدروا أوامرههم على الفور بضرورة إحكام الحصار على الميناء والتشديد على حركة الدخول والخروج منه للوقوف على حقيقة ما جرى داخل الميناء، ومن ثم توقف الميناء عن العمل وهو القرار الذى أصدرته السلطات الإنجليزى لتأديب ومعاقبة الأهالى الذين ارتكبوا مثل هذا العمل الخطير .

العريب أن الملك جورج الثالث قد أصدر أمراً ملكياً بضرورة تأديب الأهالى ومطاردة العمال الذين أقدموا على مثل هذا السلوك الهمجى - كما يرا - وقد أوفد حاميه إنجليزى مارست بعض من صور التعسف والإصطهاد لتفعيل قرارات الملك على أرض الواقع.

وجاء دور جورج واشنطن الذي كان من هذه الملحظة التي ولد من أجلها قائلاً
في رسالة وشجاعة هؤلاء الثوار والقادة العظيم:

«أنا على أتم الاستعداد لتقديم جيش مكون من ألف رجل على نفقتي الخاصة
وأقوده للدفاع عن بوسطن وفك الحصار الخائف على شعبها للشجاع».

ثم قام محامي جور استنهر هو الآخر بالشجاعة والإقدام معلناً أن يكون اليوم
الذي أعلّق فيه ميناء بوسطن يوم صلاة وصيام في جميع كنائس مدينة ويليامز برح
مضت الأمور على هذا النحو المتصاعد ضد الوجود الإنجليزي، خاصة وأن
شعوب المستعمرات قد تعد صبرها بعد أن صاق صدرها، ومن ثم لم تعد تبالي
بالقوة الإنجليزية.

وقد تجلّى دور قادة وزعماء هذه المستعمرات التي كانت تروح تحت نير الحكام
الإنجليز أن قرروا عبر المراسلات البريدية ضرورة الالتقاء معاً لبحث الأمور علانية
وعلى مرأى وسمع من الجميع بدلاً من المراسلات التي قد تتعرض للمصادرات
أو بعض الإجراءات التسوية لتعطيل أو تأجيل وصولها، فضلاً عما قد تخبره
وتتضمنه من معلومات لا ينبغي الإفصاح عنها لو كشفها، ووافق الجميع من قادة
المستعمرات على اللقاء.

وجاء شهر يونيو ١٧٧٤ موعد أول لقاء لزعماء وقادة المستعمرات في مدينة
فيلادلفيا ليكون فاتحة خير ومقدمة تمهيدية للتحرر والاستقلال.

كان أهالي مدينة ويليامز برح قد وقع اختيارهم على سبعة من رموز العمل
الوطني لتمثيل فرجينيا في مؤتمر فيلادلفيا للرقب.

جاء على رأسهم باتريك هنري ذلك الخطيب الموهب الذي كان يملك القدرة على
زلزلة الأرض من تحت أقدام مستعبيه.. وجورج واشنطن الذي بدأ اسمه يلمع
للمرة الأولى خارج فرجينيا من خلال هذا المؤتمر التاريخي.

وقد تحدث باتريك هري قائلاً قوله المشهورة حول شخصية جورج واشنطن.
دأنا على يقين من أنه لا نظير لهذا الرجل في ميلادلفيا بأسرها، حيث العقل الراجح
والأفق الواسع والرأى السيد والمكر الرشيد وسع المعلومات؛ وقبل أن يتوجه الوفد
إلى ميلادلفيا قضى باتريك هري ومعه أحد المنويين تلك الليلة في بيت جورج
واشنطن في ماونت فرمون. وهي مساء اليوم التالي وبعد أن تناولوا طعام العشاء
أبلغهم الخادم أن الخيول قد تم تجهيزها وإعدادها، وهي في انتظار لحظة وصولهم
إليها..

وحيث دقت ساعة الرحيل أسرعت مارتا روجة جورج واشنطن تقول للزعماء
الذين وقعوا لمعادرة المنزل والذهاب إلى ميلادلفيا: أرجو منكم أن تتخذوا داخل
هذا الاجتماع موقفاً أشد حرماً لأننى على يقين لا يحالجسى الشك فيه من موقف
جورج واشنطن ومن ثم أدموكم لشد أزره ونمضيد موقفه. أتمنى لكم التوفيق
والسلامة والعودة الفاعمة.

ثم انجهد إلى جورج واشنطن صاحب الحمد الصخم والقامة الفارعة لتمسك
بيده وترغمى في أحضانة لنوبيعه، كان جاكى كوستيس ويجواره روجته الرقيقة بفعان
معا بجانب والدته مارتا حين وثب الرعماء الثلاثة على ظهور جيادهم ومن خلفهم
عدد هائل من الخدم حتى غابوا عن أنظار مارتا وانها، وبعد أن كانت تلوح
بمديلبها طوال رؤيتها لهم راحت تجهم دموعها بهذا المنديل وهي تدعو الله أن يرد
لها زوجها سالماً غانماً، كان جورج يعلم أن مارتا سوف تشكو الوحدة بعد أن توفيت
ابنتها مائسى هي صيف هذا العام، ومن ثم قرر أن يتزوج شقيقها معهم في هذا
المنزل وهو له بمثابة الأب حتى لا تعترس الوحدة مارتا، وهي الرغبة التى صادت
هوى لدى جاكى الابن، ومن ثم اضطر قبول هذا الاقتراح هو وعروسه بعد أن
أدرك معيبة بقاء الأم بمفردها في مثل هذا البيت الشاسع الصخم؛ خاصة وأن

جورج واشنطن بعد أن اتخبط في العمل السياسي لم يعد بمقدوره البقاء داخل البيت كما كان من قبل، وذلك لانشغاله في خدمة الأهالي والجلوس معهم وبحث شئونهم، خاصة في المرحلة الأخيرة التي شهدت تطورات حاسمة وخطيرة ما كان لعله أن يتركها تتعامل دون أن يكون مشاركا وصانعا وراسما ومخططا لأحداثها



في براكير شهر سبتمبر عام ١٧٧٤ بدأ مندوبو المستعمرات في الكونغرس العام الأول يتوافدون على مدينة فيلادلفيا من مختلف الطرق المتعددة والمتشعبة والمحترقة والدائرية حيث استقل بعضهم عربات السمر العامة والسفن الأخر جاء على ظهور خيولهم وقد بلغ عددهم جميعا نحو واحد وخمسين حضروا ارتلوا جميعا قبعات مثثة الأركان حيث وفدوا من جميع المستعمرات بامتناء مستمرة جورجيا التي غابت عنها أخبار هذا المؤتمر التاريخي إلا بعد فوات الأوان..

كان الكل يترقب ويتلهف رؤية الزعماء الذين أقبلوا من كافة المستعمرات داخل أمريكا، وراح البعض يتطلع إلى ما سوف تقع عليه عيبه من ملابس وأزياء وقبعات وأشياء لم يرها من قبل. من جانبه فقد كان جورج واشنطن يتلهف على مشاهدة مندوبي بوسطن، صمويل آدمز وابن عمه جون آدمز حيث تلقى أبناء تشير إلى ثمرتهما على الناحية الإنجليزية وبدأ معاً العمل على التحرر من المستعمر الإنجليزي بكافة السبل. ولكن لم يكن جورج واشنطن واثقا من صحة تلك الأنباء وربما لذلك أراد أن يقف على حقيقتها بنفسه بدلا من الاستماع من الذين قد لا يحسنون نقل الأخبار ولا يأمنون عليها.

وفي ليلة الثامن والعشرين من سبتمبر توجه جورج واشنطن إلى المقر الذي ينزل فيه جون آدمز وابن عمه ليشجاذب معهما أطراف الحديث، وكانت هذه هي المرة

الأولى التى يتحدث فيها الرجلان معا رغم مرور ثلاث أسابيع على بدء المؤتمر وكان كليهما يرى الآخر فى جلسات الكونغرس وربما أدرك واشنطن أن هذا الرجل ذو القامة القصيرة والبدن الممتلئ والشعر الأحمر، هذا المحامى من ماسوشوسيتس الذى يتجول بين الحضور هو معه جون آدمز ومن الثابت أنه أيضا قد وقع بصره على هذا الرجل الصخم جورج واشنطن ذلك المزارع الذى ألقت الشمس بلهيبها على بشرته، والذى يتميز بدرجة الكلام، ولم يتببه إليه إلا حين مشاهدته على باب غرفته فى تلك الليلة وفى هذه العرفة التى سكنها بالطابق الثانى تبادل الرجلان الكثير من الشئور العامة وقد لفت نظر جورج واشنطن أن كلا الرجلين جون آدمز وابن عمه صمويل لم ينطق أى منهما بكلمة الحرية أو الاستقلال أثناء الحديث، وأدرك بعينه أن الرجلان لا يربيان بحال من الأحوال فى الحرية أو غيرها من الكلمات والمفردات التحررية التى تدعو للاستقلال ولكنه كان واحدا فى ظنونه التى ملكته . . وتملكت منه .

والواقع الذى لم يكن قد نما لعلم جورج واشنطن أن كلا الرجلين قد تلقيا تحذيرات وإنذارات شديدة اللهجة أثناء سفرهما إلى المؤتمر بواسطة إحدى العربات العامة، وقد تم التنبيه عليهما بضرورة توخى الحيلة والحذر والبعد عن السياسات التى تناصب الحاكم الأنجليزى وأعوانه العداء، خاصة وأن فيلانيليا تلك المدينة التى تمتلئ بأنصار الملك والموالين له، وربما تردد كلمة مثل الاستقلال كثيرا ستكون بمثابة صاعقة مسترل من فوقها على رؤوس هؤلاء الموالين للملك، ولهذا اختصت كلمات نارية مثل الاستقلال والحرية والانفصال وغيرها من المفردات التى من شأنها أن تشعل كرات اللهب فى نفوس الملك وأنصاره

لقد اقتصر الأمر على تقديم عريضة إلى الملك جاء فيها أن رعاياه الذين يدبون له بالولاء والانتماء ويحفظون لتاجه يرجون من ملكهم الحليل الرحيم أن يوفر لهم سبل العدالة .

وبعد تقديم هذه العريضة تفرقت بالمدن والسبل وعادوا جميعا إلى بلادهم على العودة مرة أخرى في شهر مايو حين يصلهم رد للملك على ما جاء في عريضتهم.

وانقضى فصل الشتاء بأكمله دون أن يروا لهم أي جواب، ثم أقبل الربيع وتحلت براعته في مارس كما هو معتاد وتفتحت الأزهار وزدهرت براعم الكريز دون أن يأتي الرد الذي يتلهف عليه جورج واشنطن وغيره من أهالي فرجينيا.

وفي أحد الاجتماعات المعقدة في مدينة فرجينيا وقف باتريك هنري قائلاً لجمهور الحاضرين الذين ازدحم بهم القاعة، وعلى رأسهم جورج واشنطن: «إننا ينبغي أن نناضل في سبيل استرداد حقوقنا، وإن كنت لا أعرف كيفية التخطيط لذلك أو أن هناك غيرنا قد خطط من أجل هذا الهدف المنشود، ولكن أدمر هنا بأعلى صوته أن امحوي حريتي أو أتركوني للموت».

وجاءت تلك الكلمات بمثابة شموع أضلعت طريق الشعب الفرجي نحو الحرية والامتفلال، خاصة وأنهم قد أدركوا أنه لا مفر من القتال وبدأت التدريبات العسكرية تدور في المنازل والمزارع، وبدأ التسليح يتوافد على فرجينيا استعداداً لحطة الانقضاض على المستعمر العاشم الذي جثم على نفاس البلاد والعباد.

وأمام هذا التحرك الشعبي الخطير كان جورج في طليعة هذه التحركات لا يهدأ من إشعال حماس كل من يلتقي به، ولا يملاً اليوم جفونه إلا بعد أن يهيئ خطته التسليحية والعسكرية لساعة الصفر والحسم التي يتطلع إليها مهما كان الثمن ولأن جورج واشنطن كان ساكناً في قلوب أهالي فرجينيا وأحد أئمتها وشجعانها ورجالها ولتاريخه في الحروب مع فرنسا التي أشرنا إليها فقد توافقت على بيته الحشود الغفيرة التي تطاله بأن يتولى هو قيادة الجيش نظراً لخصراته وحكمته وذكائه ومهنته وقدرته على قيادة فرجينيا نحو مستقبل أكثر إشراقاً وانطلاقاً من قيودها وأغلالها

ووافق جورج واشنطن على تلك الرغبة الشعبية وهو على يقين من قدرته على إدارة الأمور بما قد يؤدي إلى الوصول للأهداف المرجوة، ولبس الثمار المنشودة من أجل تحرير شعب مرجينيا بل وباقي شعوب المستعمرات الإنجليزية المقاعة على الأراضي الأمريكية

وحيث توجه جورج واشنطن إلى مدينة فيلادلفيا للمرة الثانية وذلك للمشاركة في أعمال مجلس الكونغرس لم يكن موفداً إلى مقر المجلس بوصفه مزارع من مزارعي مرجينيا الذين أوفدتهم جماهيرها للتعبير عن آمالها وطموحاتها، بل أنه قد ذهب إلى هناك على اعتبار أنه أحد أبرز وألمع قادة الجيش في مرجينيا وذلك بإظهار ملابسه العسكرية ذات اللون الأزرق والأصفر معا

كان جورج بقامته الفارعة محيط إعجاب وأنظار كل من تقع عليه عينه فصلا عن هدوء أعصابه، وقلة حديثه وحكمة أرائه وسعة أفقه وإنسانيته التي لا يبخل بها إذا ما دعا الأمر إليها، ودفع مشاعره لمن يقترب منه، ومن ثم كان جورج عالوماً لدى الجميع ومضرباً للآمال والأحلام.

وما أن اقترب جورج واشنطن من الثالثة والأربعين من العمر حتى بدأت مرحلة جديدة ومؤثرة وخطيرة في حياته حيث بدأت تتجلى أوج عظمته وشموخه وزعامته وقيادته وحكمته وقدرته على تحريك الأمور كما ينبغي، وحيثما يريد وسط تأييد شعبي جارف وحب طامع دعمه للعمل بكفاءة وإخلاص على تلخيص قواعد الحرية وإرساء أعمدة الاستقلال لهذا الوطن ولتلك الشعوب التي أصبحت تستحقه، ومن الظلم أن تظل هائمة على وجوها تحت سيطر المستعمر الذي لا هم له سوى بهب حيرات البلاد وسلب كنوزها وفرض صرائبه وولاد أحلام الأمة، واغتياط طموحاتها وكأن القدر قد كتب عليها أن تعيش دليلاً كثيرة تحت أقدام الملك وأهواته.

كان جورج يحلم بما لم يحلم به الآخرون ويستطلع إلى ما لا نراه أعينهم كأنه
مبعوث الحرية والاستقلال وقد كان جورج كذلك بالفعل

• • • •

الفصل السادس الجنرال .. جورج واشنطن

حين دخل جورج واشنطن مبنى الحكومة في فيلادلفيا كانت ثيابه العسكرية المزركشة محط اهتمام جميع الذين شاهدوه وقد صاح جون آدمز قائلاً:

«ها هو الرجل الوحيد المتأهب للعمل والتصال»، كان جون آدمز من جيلته يسمى بكند وإخلاص إلى توحيد الصفوف من خلال كلمة موحدة يجمع عليها المندوبين في أثناء انعقاد جلسات المؤتمر الثاني، وذلك لإبداء مدى جديتهم واستعدادهم لخوض غمار معارك وحروب جهادية لكافة هذا الشعب، على عرار مندوبي ماساشوسيتس الذين جاءوا وقد عقدوا العزم على البدء في التصال المسلح وإن ذهبت أرواحهم جميعاً في سبيل الحرية وانتفاء الاستغلال المشرد .

لقد فات على البعض أن عمليات الحرب قد بدأت دوراتها بالفعل مدد نحو أسبوعين، وبالتحديد في إحدى ليالي شهر أبريل، حيث هب بول ريفير على ظهر جواده وقد أسرع به بسرعة حارقة لكي يلقى بإنذار شديد اللهجة على مسامع سكان بلدة كونكورد، كان يشير في محمله إلى أن «دوى الملابس الحمراء»^(١) على وشك دخول المدينة .

وفي صباح التاسع عشر من أبريل تطلعت الرصاصات من هنا وهناك وبالعكس بين الحدود الإنجليزية ورجال ماساشوسيتس الصغار، وهو اللفظ الشائع لدى أهالي هذه البلدة

من هنا ومن أزقة وشوارع وبيوت ومداخل ومساكن وبواقد تلك البلدة اندلعت شرارة الحرب لتبدأ المعركة الأولى من معارك الثورة الأمريكية

(١) الجنود الإنجليز

وبعد مدوالات وجلسات عدة تم اختيار جورج واشطن قائدا عاما بالاجماع، ثم أعقب ذلك أن قرر الكونجرس من خلال رئيسه السيد جون هانكوك تنصيب السيد جورج واشطن قائدا عاما للجيش.

وفور سماع جورج واشطن هذا القرار هب من مقعده داخل قاعة الكونجرس قائلاً - وقد كست على وجهه ملامح الحزن والصيق - : «سيدى الرئيس . . . إنى بالطبع أعلم مدى الشرف العظيم الذى أوليتمونى إياه . وأنا أعلن أمامكم جميعا محلياً صادقاً كل ما فى نفسى من صدق وإخلاص أنى لا أرى نفسى بالكفاءة التى تتطلبون إليها فى شئ من المتواضع للإمساك بدفة قيادة الجيش.

أما بخصوص الراتب فأنا فى غنى عنه ، لأنى لا أحتاج إليه ، وإنما سوف أسجل بدقة متناهية جميع المصروفات والتعفات التى سأحتاج إليها . . . وهذا هو كل ما أردت أن أذكره أمامكم.

بعد انقضاء أسبوع من تلك الحلة التاريخية التى رسمت أقدام جورج واشطن ودفعته للأمام نحو ما هو أكبر وأرقى، غادر القائد الجديد جورج واشطن مدينة بوسطن، وفى الثالث من شهر يولية عام ١٧٧٥ وصل إلى مدينة كمبريدج بواسطة سفينة بحرية، وحين وقع بصره للوهلة الأولى على الجيش العريب غير المزهل أدرك أن أمامه مهام صعبة وشاقة تحتاج إلى وقت وجهد لإعادة ترتيب وتكوين وإعداد جيش جديد يتمكن من الدفاع عن حدود بلدته ومقاومة الغزاة مهما كانت قوتهم وأدواتهم.

كان الجيش مكون من رجال العابات، وصبيان الفلاحين، وقد كان جيشاً يدعو للدهشة والعجب، الأمر الذى دفع بالقائد العام جورج واشطن للاعتكاف فى مقره لوضع خطة عاجلة فاعلة والده فى تنفيذها على جناح السرعة



حرب الاستقلال

بعد أن مر عام كامل على تولي جورج واشنطن قيادة الجيش كانت الولايات المتحدة على موعد مع ولادة جديدة من رحم الكفاح الوطني وذلك في الرابع من شهر يوليو ١٧٧٦.

لقد أعلنت جميع المستعمرات تحررها من أغلال وقيود الإنجليز واستقلالها عن هذا التاج الامبراطوري الطالم وكتب جيمرسون وثيقة إعلان الاستقلال ثم وقعوا جميعا على هذا الإعلان، بيد أن جورج واشنطن لم يوقع على الإعلان كما وقع عليه الآخرون، حيث كان مهتما في أعماله العسكرية بعيداً عن فيلادلفيا وبالذات يوم أن تليت على الملأ بود نص وثيقة الاستقلال..

لقد كان جورج مع جيشه في نيويورك، وحين وصلته نسخة من الإعلان استدعى أحد رجاله وأمره في التبر بثلاوة الإعلان على الحدود حتى أشعل به حماسهم، وراح بعضهم يرقص طربا وعطية من الأمل المشود والحلم الذي كان بعيداً، ومن أنهم لن يكونوا بعد هذه اللحظة من رعايا الملك جورج الثالث، بل أسرع بعضهم نحو تمثاله الكائن في حديقة الميدان لتنهشيمه وتخطيمه انتقاماً وثأراً من العقود التي مضت تحت وطأة الملك وأمرته. وبلغ بهم الحماس أن كسروا تمثال الحدود الذي كان مصنوعاً من الرصاص لصهره حتى يتسنى لهم تحويله إلى ذخيرة حية لبادقهم المارعة.

لكن من جانبه أبدى القائد جورج واشنطن رفضه القاطع لكل هذا السلوك العنصري والذي لا يتفق مع حياة الحرية التي تتم بالوسط والربط في كافة نواحي الحياة، سواء كانت سعيدة أو مؤلمة، حيث لا يرى القائد جورج أن هناك ما يبرر الخروج على النظام العام أو الأسس التي وضعها عند بناء الجيش وتحديد

أولوياته وأهدافه، وعلى رأسها الاحترام والالتزام والحدية، صحيح أنه أكثرهم فرحا بهذا الإعلان لكنه يملك بوضعه الفائتة القدرة والإرادة الحديدية على ضغط مشاعره وعواطفه على عكس هؤلاء الجود الذين كانوا يتوقون إلى مثل هذا الإعلان للتعبير عما حاق في نفوسهم من ظلم واشتمزاز من الملك ورجاله، وعلى الفور بدأت حرب الاستقلال في نفس العام الذي شهد خروج الوثيقة إلى النور عام ١٧٧٦ وقد استمرت زهاء ست سنوات، وقد كانت مدينة ماساشوسيتس هي البداية التي دفعت البلاد لخص عمار معارك طويلة الأمد تشد الحرية وتحلم بالاستقرار، حتى كانت مدينة «يورك تاون» إحدى مدن ولاية فرجينيا هي التي شهدت بداية وقف إطلاق النار

وعلى إثر هذه الحرب الطويلة تدفقت دماء غزيرة، وتناثرت أشلاء الحث بين الفريقين، وإن كان أغلب صحاياها من الجانب الأمريكي الذي كان أقل عدة وعتادا إذا ما قورن بما يملكه الجيش الانجليزى الذي لم يتورع في ارتكاب العديد من المذابح والمجازر والمأسى في صفوف الشعب الأمريكى الخالم بالحرية ووحدة أرمية الشاسعة.

وبعد وقف إطلاق النار الذي شهدته فرجينيا وتوقيع وثيقته حتى يلتزم بها الحانين اندلعت اليران بين الحانين مرة أخرى لتستمر عامين آخرين كانت مشحونة بالمتاع والمصاعب والمكائد، وقد علا فيها الحبيب واحتلظت بها دموع النكلى بالينامى والأرامل، حتى كانت حربا مدمرة أكلت أحصرها وبأسها وشيوخها وشبابها وباءها وأطفالها ورعم ذلك فقد كان من بين هؤلاء الصحايا من كان يصرح ويصيح هيا إلى الاستقلال. هيا إلى الحرية. تراجع لا استسلام. لا تحذلوا الوطن لا تتكثوا المهود لئها الأبطال الشجعان. اطرءوا هؤلاء العراة الطامعين

في سبائكم وأولادكم وثرواتكم، حرروا أنفسكم من أغلال الملك وتاحه الموضع بذهبنا وكنوزنا وخيراتنا .

كان جورج واشطن في تلك الأثناء لا يتسرب اليأس إليه، ولا يتردد في خوض عمار أية معركة رغم ضعف إمكانياته وأسلحته، حيث كثيرا من شكّا من بغداد الدخيرة وقلة المدافع التي كان يحتاج إلى الكثير منها، ولم يكن يمل الشكوى من تدنى الرواتب التي كان يتقاضاها الجند، الأمر الذي كان يشير حقيقة جورج واشطن خاصة وأنه يعلم أن حرانة الكونغرس كانت حصيلتها صفر

ورغم ذلك فقد كان الكونغرس لا يمل من طلب المستحيل من واشطن غير عابىء بإمكانياته المهترئة وموارده الشحيحة ومعنويات جنده التي كاد اليأس يعصف بها أمام احتياجاته الملحة والاستراتيجية.

وربما كان ذلك هو أحد أهم الدوافع التي أدت بالبحص للرشاية لدى الكونغرس بجورج واشطن ومحاوله تشويه صورته وتلطيع سمعته والخط من شأنه وكسر إرادته، ومن ثم تفرع عدد كبير من صباط الجيش للتآمر عليه ومحاوله إزاحته من قيادة الجيش، وعسى جورج كثيرا من خيانة أقرب معاونيه

ورغم المكائد التي واجهها القائد جورج واشطن فقد كان كعادته صبوراً وصابراً ومثابراً ومتريثاً أمام كل هذه التحديات الحسام طوال سنوات الحرب التي طال أمدها وأكثر مما يتوقع الخبراء، ومع ذلك ظل جورج وجنوده الأوصاء على صمودهم وبصالتهم وكفاحهم واستمالتهم لا يبالون بما يجري من حولهم من مؤامرات ودسائس، ولا يملون بدعوات اليأس والانهازية التي روح لها دعاة الاستعمار وأدبائه أملاً في عودة الحكم الملكي الإنجليزي الذي كانوا يحصدون بعضاً من ثماره على أعمار أنهم من العملاء والخونة الذين لا يتورعون عن بيع الأوطان في سوق النخاسة مقابل مستأ واحداً

في سبائكم وأولادكم وثرواتكم، حرروا أنفسكم من أغلال الملك وتاحه الموضع بذهبنا وكنوزنا وخيراتنا .

كان جورج واشطن في تلك الأثناء لا يتسرب اليأس إليه، ولا يتردد في نخوض عمار أية معركة رغم ضعف إمكانياته وأسلحته، حيث كثيرا من شكّا من بغداد الدخيرة وقلة المدافع التي كان يحتاج إلى الكثير منها، ولم يكن يمل الشكوى من تدنى الرواتب التي كان يتقاضاها الجند، الأمر الذي كان يشير حقيقة جورج واشطن خاصة وأنه يعلم أن حرانة الكونغرس كانت حصيلتها صفر

ورغم ذلك فقد كان الكونغرس لا يمل من طلب المستحيل من واشطن غير عابىء بإمكانياته المهترئة وموارده الشحيحة ومعنويات جنده التي كاد اليأس يعصف بها أمام احتياجاته الملحة والاستراتيجية.

وربما كان ذلك هو أحد أهم الدوافع التي أدت بالبحص للرشاية لدى الكونغرس بجورج واشطن ومحاوله تشويه صورته وتلطيع سمعته والخط من شأنه وكسر إرادته، ومن ثم تفرع عدد كبير من صباط الجيش للتآمر عليه ومحاوله إزاحته من قيادة الجيش، وعسى جورج كثيرا من خيانة أقرب معاونيه

ورغم المكائد التي واجهها القائد جورج واشطن فقد كان كعادته صبوراً وصابراً ومثابراً ومتريثاً أمام كل هذه التحديات الحسام طوال سنوات الحرب التي طال أمدها بأكثر مما يتوقع الخبراء، ومع ذلك ظل جورج وجنوده الأوصاء على صمودهم وبصالتهم وكفاحهم واستسالتهم لا يبالون بما يجري من حولهم من مؤامرات ودسائس، ولا يملأون بدعوات اليأس والانهرامية التي روح لها دعاة الاستعمار وأدبائه أملاً في عودة الحكم الملكي الإنجليزي الذي كانوا يحصدون بعضاً من ثماره على أعمار أنهم من العملاء والخونة الذين لا يتورعون عن بيع الأوطان في سوق النخاسة مقابل مستأ واحداً

لقد وصفت الحرب أوزارها وها هو العام الأول قد أسرع وانتهى ، وهاهم جود الإنجليز قد تجمعوا أحيرا على رصيف ميناء بوسطن بعد أن قرر قادتهم الانسحاب أو الهروب من بيران المقاومة الأمريكية التي يقودها جورج واشنطن الذي كان يراقبهم بمطاره وهم في طريقهم إلى البحر البحرية التي أطلقت صغاراتها مؤدة بالرحيل والعودة إلى بلادها الأصلية

ووفقا للأوامر التي بلغت واشنطن من الكونغرس قام بنقل جيشه إلى مواقعه في نيويورك لحماية المدينة وعدم وقوعها في أيدي الإنجليز ولكن أدرك واشنطن أن هذه الأمية هي درب من دروب الوهم والمستحيل حيث أنه يفقد البحر التي تعرقل دخول مراكب الإنجليز من دخول الميناء

ولذلك اقتحمها الجنرال هار بمراكبه وقواته التي كانت تفوق أعداد قوات الجنرال جورج واشنطن ومن ثم تمكن في إبعادهم عن المدينة ، بل وراح يتعسف قلوبهم حتى نهر هدسون الأمر الذي دعاهم لعبور النهر هربا إلى نيو جيرسي ، وفي نيويورك علم أن اللورد كرواليس قد هاد من إنجلترا ومعه فرقة كبيرة من الجنود الألمان المرتقة كان قد قام باستجارهم ليقاتلوا معه في صفوف قواته ومن ثم قام الجنرال هار بإرسالهم لتعقب الأمريكيين وظلت المطاردة أسبوعا بعد الآخر في شوارع نيو جيرسي فيما كانت قوات واشنطن تتراجع وتتقهقر أمام الصربات الموجهة التي كانت تطلقها

ولأن جورج واشنطن كان يلود بالمرار من مكان لآخر على عجل دون ترتيب هربا من طلقات النار الكثيفة التي كانت تصاف على قواته كالأمطار ، كان يشكو من معاد المؤن والماء ، الأمر الذي أرغم بعض جنوده على الهرب من الميدان وانقلاب البعض الآخر على قيادته ، مظرا لسوء الأداء ومعاد السلاح والعتاد والمؤن والدخيرة والمنافع وملابس الشتاء ..

وحين قرر واشنطن العودة بقواته عبر نهر الديلاوير بالقرب من نيلانبا غلث
الربع أعضاء الكونجرس، وتوقع أعضاؤه أن يدخل كرنواليس على رأس قواته إلى
مدخل نيويورك بين ساعة وأخرى.

كانت تلك الأحداث تدور رحاها في شهر سبتمبر، وكان يعتمد على الإنجليز
عبور نهر الديلاوير؛ حيث كان أعلاه قد تجمد يعمل الأمطار الثلجية مما اضطر
كرنواليس إلى الوقوف وعدم العبور، واستقر به المطاف عند مدينة ترنتون من جهة
جرسي، ثم حل عيد الميلاد وراح الجنود الألمان يحتفلون بطقوسه على طريقتهم
الخاصة، وتعاطوا كؤوس الخمر التي لعبت برؤوسهم مع رقصهم العيف على
الأنشيد الوطنية التي استمرت حتى صباح اليوم التالي

في تلك الليلة عاد واشنطن عبر نهر الديلاوير رغم أن مياهه قد تجمدت ومن
ثم قرر عبوره من ناحية بوجيرسي بواسطة مراكب صميرة وسط ضباب كثيف
وثلوج أصمت الأبصار عن الرؤية القريبة، ثم سرعان ما اقتربوا من الجنود الألمان
المرتزة الذين كانوا قد استسلموا لسبات عميق بعد أن أرهقهم السهر والرقص
والخمر فأصبحوا صيدا ثميا لقوات جورج واشنطن، الذي قام بإصدار أوامره
الصارمة بالفناء القبيح عليهم كأمري حرب وبالفعل سقط الجنود الألمان أسرى
لقوات جورج واشنطن..

أما كرنواليس فقد وصل حيث ترابط قوات واشنطن، وظن كرنواليس أن الثعلب
المعجوز قد بات فريسة سهلة في شباكه، وأن هذه الليلة سوف تشهد القضاء عليه
حيا أو ميتا

وراح يرسم خطة شديدة الإنقاذ للقبض عليه عند بروج حيوط المعجر الوليد،
ولكن ما أن قام كرنواليس بتنفيذ خطته الباردة حتى علم من مصادره أن الثعلب
المعجوز قد أطلق سافه للريح هو وقواته في حيلة عجيبة أدهشت كرنواليس

كان كرنواليس يتمدد في فراش حيمته طوال ساعات الليل المظلم الأمر الذي دفع جورج واشنطن لخضاعه وتضليل حراسه وجواسيسه حيث أوقد بيران في منتصف المعسكر بحدة تدفئة عظام الجند التي كاد يضرسها البرد القارس فأوهم كرنواليس بوجوده طوال الليل في الوقت الذي تطل من بين خطوط قوات كرنواليس . .

وعند طلوع المعجر كان هو وجوده قد قطعوا مسافة كبيرة نحو جهة الشمال، وإذا بقوات الإنجليز تواجه قوات جورج واشنطن ليلقى على أيديهم هزيمة قاسية في منطقة برستون وكانت هي حاتمة معارك الشتاء وعاد كرنواليس إلى نيويورك فيما اتجه واشنطن إلى بوجرسى ليفضى فيها فترة الشتاء

في تلك الأثناء جاءت زوجته مارثا من ماونت فرنون لتخف معه وتشد من أزره وانكبت على صناعة الحوارب للمجنود، ثم قادرت المعسكر عند بداية فصل الصيف حيث أن اندلاع المعارك مرة أخرى كان هو الأمر المتوقع لدى جميع الأطراف صحيح أن واشنطن لم يكن على دراية تكيفية ومكان هذه المعارك مرة أخرى لكنه كان واثقاً أنها سوف تنشب مرة أخرى ثم هو لا يملك من العملاء والجواسيس ما يمكنه من الوقوف على نوايا العدو المستقبلية لاتخاذ اللازم وإعداد التدابير وتوفير ما سوف تحتاجه المعارك القادمة، سواء كانت في مدينة من جهة الشمال أو الجنوب أو أية جهة سوف تقتحمها قوات الإنجليز .

وعلى نحو مماجيء أقبلت بعض طلائع الكشافاة أو (جواسيس جورج) بحجوه أن الجنرال هاو اتجه بقواته نحو فيلادلفيا حيث أنه قد شوهد يشق عاب خليج تشايك بواسطة السفن البريطانية، برل الياً على أعضاء الكونغرس كالصاعقة، حيث بحث كل عضو عن مأوى يحميه وطوق نجاة ينجيه من مغبة جنود (هار)

ولأن جورج واشنطن قد أدرك خطورة ما أقدم عليه رجال الكونجرس من إرهاب الروح المعنوية لدى جنوده وما يمكن أن يترتب على ذلك من تدمير كامل لقواته تلك التي تستلزم في الدفاع عن حرية أمريكا واستقلالها، قرر الرجل القائد المعوار أن يشر جنوده في شوارع المدينة وسط طبول الحرب وأناشيد الاستقلال لإرهاب العدو وأنصاره، خصوصاً وأنه قد طالهم بالوقوف أمام المسى الذي شهد إعلان وثيقة الاستقلال كرمز للصمود والصلابة والإرادة والتحدى وعدم التراجع والتقهقر مهما أوتى العدو من قوة ومن رباط الخيل

وأطاع الجنود الأوامر في التراجع وأصبحت المدينة وكأنها تعيش مهرجاناً لصر لم يحرقه واشنطن بعد حيث راح الجنود يهتفون بأصواتهم الصاخبة أعاني مشهورة باسم «يانكي دودل» وسط دقات الطبول وبعثات المراسير الحماسية المدوية، وقد وضعوا على قبعاتهم أغصان شجر لكي تحمي معالم السوء التي كانت قد بدت عليها من شدة الحاجة وسوء الحظ، وبسبب كان جنود واشنطن الثوار يهتمون في شوارع المدينة بشيائهم الرثة ومظهرهم السائس كان المحافظون يتهاكمون عليهم ويستحقون بهم، حيث كان أغلب هؤلاء الأمريكيين ما زالوا على ولائهم لملك الإنجليز، وكانوا يتطلعون إلى اللحظة أو الساعة التي تصلهم أنباء وصول الإنجليز إلى مدينتهم.

وبعد مشوب معركة أو أكثر استطاعوا دخولها في مطلع شهر أكتوبر الذي شهد العديد من المهرجانات اليومية التي شاركت فيها أسر المحافظين مع جنود الإنجليز التي استمرت طوال فترة الشتاء حيث ساد للمرح جميع أنحاء المدينة

وعلى الرغم من المهرجانات التي أقامها الأهالي والجنود المرأة معاً كان جورج واشنطن وجنوده يتألمون من قسوة الشتاء، خاصة وأن مواقعهم كانت على التلال المكشوفة عند منطقة (مالى فورج) وقد استولى عليهم الجوع، وكادت جنودهم

تجمد بعمل الشتاء الفارص الذي داهم البلاد خاصة وأد أغلبهم كانوا من الحماة حتى كانت أقدامهم تن وتوجع وتترف دما غريرا وهم يتقلون من مكان إلى مكان يقطعون الأشجار ويصنعون من جذوعها أكواخا لتكون ملاذا أما لهم من عصم الشتاء.

كان واشطن يقضى أوقاته في خيمة قرية من رجاله حتى كان يأكل من طعامهم، وشوَّج بأرجاعهم مع أنه كان أكثر قوة وصلابة وتحب وعباد وإرادة من صباط قواته الذين داهمهم اليباس، وكاد يمصف بحياتهم فصلاً عن ضعف جوده واستسلامهم للسكاه بين الحين والآخر رغم العزيمة التي تسكنهم والرغبة في طرد العراة وتحرير الأوطان من هؤلاء الذين بهوا حيراتها وأدلوأ أهلها.

بعد أن أبحر الجود أكواخهم الخشبية التي انتقلوا إليها، شيدوا لقائدهم جورج واشطن بيتاً صغيراً مبنياً بالاحجار على مقربة من الخليج

في تلك الاثناء جاءت زوجته مارثا كما هو معتاد لكي تعيش إلى جوده طوال فصل الشتاء، وكانت آنذاك تتردد على الجود وتواسى مرصاهم وتداوى جرحاهم وهي لا تهدأ في صنع جوارب الجود المصانة للبرد الفارص، وحيابة الملابس وترقيعها مع زوجات الضباط الآخرين.

وقضى واشطن هذا الشتاء مكوّناً بالحر والهم والضيق، حيث كان مقبص الصدر أسما على ما لاقاه جوده من أهوال ومتاعب ومصاعب جمّة، ثم إرداد ألمه حين تلقى خطابات عديدة من أعضاء الكونغرس لا تحلو من النقد والتأنيب واللوم في حين أن هؤلاء الأعضاء قد نعصوا أياديهم ولم يقدم أي منهم معونة أو مساعدة تعصّد من موقف قواته بل إنه واجه أكثر من مؤامرة بسج حيوطها بعض قادة الجيش بهدف عرله واقصاته من منصبه، بيد أنه اكتشف حيوط تلك المؤامرة ومن ثم قرر قطع دابرها والقضاء على أصحابها.

على أية حال رغم الأذى الذى وقع على جورج ورجاله إلا أنه تحلى بالصبر وتمسك بالشجاعة، الأمر الذى ساعده بالطبع على المضى قدماً فى تنفيذه ما يصبو إليه

ومع حلول الربيع جاءت أخبار طيبة، أخبار رائعة وعظيمة، وهى أحد أيام شهر مايو كان المعسكر يشهد احتمالات صالحة بعرض الترفيه عن الجنود، وقد اندفع أحد الشباب فى عمرة من عمرات الطرب والابتهاج ليلقى بنفسه بين دراعى جورج واشطر يعانقه ويقبله فى وجته وكان هذا الصاغ هو المركيز لافاييت وهو شاب فرنسى لم يتجاوز العشرين من عمره. فمادنا كان سبب ذلك الفرح الكبير الذى ساد أرجاء المعسكر؟

لقد انضمت فرنسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مضالها ضد الإنجليز وقام لويس السادس عشر ملك فرنسا بتوقيع معاهدة مع بجامين فرانكلين الذى ذهب إلى فرنسا لكى يستعين بها على الإنجليز، كان لافاييت قد غادر فرنسا منذ سنة واحدة وجاء إلى أمريكا ليشارك معها فى كفاحها فى سبيل التحرر من الإنجليز، وقد تسلل إلى الميناء متحياً بأن وضع على رأسه شعراً آخر مستعار كان أسود اللون حتى يحمى لون شعر رأسه الأصلى ذو اللون الأحمر الطبيعى، حيث كان الملك قد أصدر قراراً بمنعه من السفر إلى أمريكا لكن الآن فقط تغير رأى الملك وأصبحت فرنسا تحرص على التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها ضد الإنجليز، وسوف تصل السفن الفرنسية إلى السواحل الأمريكية على الفور.

ما من شك أن هذه الأخبار قد دهشت بالإنجليز لتعير حططهم، ولذلك عاد الحمرال هاو إلى إنجلترا بعد أن سلم القيادة لحرال آخر

وحين ثما لعلم القائد الإنجليزي تحرك أسطول فرنسي نحو نيويورك رأى أن وجوده في نيويورك أقل خطرا على الحود الإنجليزي من أن يكون في فيلادلفيا ولهذا عادر فيلادلفيا ومن حمله أسطول ضخم من عربات البصاعة حتى وصل إلى نيويورك ووقف على بعد نحو اثني عشر ميلا . فتبعه واشنطن وطاقته في موقع قريب يتبع له إمكانية مرافقة الأوصاع في المدينة وترقب ومتابعة وصول الأسطول الفرنسي على أمل أن يقتحم نيويورك ويسترد لها مدعم الفرنسيين

ولكن . لسوء الطالع فقد وصلت السفن الفرنسية في مطلع شهر يوليو وبالتالي هجرت عن دخول المياه حيث المياه يعتقد العمق في مثل هذا الوقت من السنة ومن ثم تفشل السفن الصخمة في دخوله بسبب إرتطامها بالرمال ولهذا ظل الإنجليزي في نيويورك فيما بقي جورج واشنطن وجوده على أهبة الاستعداد على مقربة منهم حتى نهاية الحرب .

في تلك الأثناء تحولت المعارك إلى الولايات الجنوبية الأربع في عام ١٧٨ حتى الإمبر مدينة جورجيا ثم أعقبها سقوط كارولينا الجنوبية التي احتلها اللورد كرنواليس، وكان قد تحرك إلى كارولينا الشمالية ثم توجه بعدها مباشرة إلى مرجيبيا، وتلك أخبار من شأنها أن تعكر صفو واشنطن وتثير عصه

لكن بالرغم من الصربات التي يتلقاها جورج واشنطن يوما بعد الآخر والهزائم المتكررة لقواته والبؤس والموز والفقر الذي كاد يقتل ما سقى معه من جود، رغم ذلك كله فقد وصلت أنباء سارة على رأسها وصول القوات الفرنسية لأمريكا وبرت بيوبورت في رود آيلاند، وعلى العور رافق جورج واشنطن لاهاييت وترجيلا معا من أجل التباحث وتبادل الآراء مع القائد الفرنسي الذي كان طاعا في الس حتى كان جنوده ينادونه بلقب «بابا روشامبو» .

كان واشنطن من جانبه يتطلع إلى مهاجمة القائد الإنجليزي في نيويورك، ولكن راحة عقله وحكمته ودكاه بصيرته كانوا حجر عثرة للإقدام على ذلك لما لهذه المحاطرة من حائل فادحة كانت قواته ستكبلها منذ اللحظة الأولى. ومن ثم قرر جورج واشنطن انتظار وصول الأسطول العرسي، ومن ثم يتمكن في تلك اللحظة أن يدفع بقواته تحت الستار العرسي، ولكن كانت الأساطيل العرسية لا يزال بعضها في عرض البحر يصارع الأمواج ويسرع الخطى للوصول إلى مرفأ الأمان

وفي أوائل العام الجديد ١٧٨١ أبحر توماس جيفرسون القائد جورج واشنطن إلى الحدود الإنجليزية دخلوا ولاية مارجيبيا وقد أصرموا البران في مزارع التبغ وفي المحلات ويرتكبون أحمق الخرائم نكابة في جورج واشنطن ابن تلك الولاية وأمر رجالها على الإطلاق.

وفي التو كلف جورج واشنطن لافايت بالتوجه ناحية الجنوب في الحال وبعث معه كل من يستطيع الاستعانة في دوره من الجنود، ولكن سرعان ما وردت الأنباء إلى واشنطن تؤكد أن القائد كرواليس اتجه نفسه إلى مارجيبيا ورأى واشنطن أن عليه انتظار الأخبار الواردة من لافايت.

وبالفعل بعث لافايت بالأخبار في الخريف بطالته بضرورة الحضور سريعا حيث أن الأسطول العرسي وصل لتوه خليج تشسايك وأن القوات الأمريكية السبيطة المراقبة هناك قد أحكمت حصارها على كرواليس وحوده في (يورك تاون)

وحين سمع واشنطن هذه الأنباء السارة تسرع هو وروشميو وتوجها على الفور نحو الجنوب. كان الجنود الأمريكيون لا يزالون في ثيابهم الرثة فيما كان الجنود الفرنسيون في ثيابهم الرقعة المزركشة الخلدابة ودخلوا مدينتي فيلادلفيا وبلتيمور وعبروا نهر البوتوماك إلى مارجيبيا وذات ليلة في ساعة متأخرة في مارست فربون تسلل جورج واشنطن إلى أسرته التي استيعظت من نومها لتجده أمامها وهي صباح

اليوم التالي أقبل بابا روشامبو الذي تقبل بحفاوة من قبل أسرة جورج وجميع جيران بيته، ولكن سرعان ما رحل الرجال لتابعة نظورات الموقف العسكري وقد اصططح جورج واشطن كوستيس ابن زوجته مارثا ليعمل ياورا له، وكان جاكى قد قام بتوديع بانه الصغار وطلمله الوليد وداعا كان هو الأخير؛ حيث لقي مصرعه في ميدان المعركة.

وهي ويليامس برج على بعد نحو أكثر من سبعة أميال من (يورك تاون) وجد واشطن لاهاييت يتظره، وحين رأى هذا القائد المحبوب حتى انه رجعت أساريره وأشرف وجهه وبرقت عيائه ولاحت على شفتيه ابتسامة رقيقة ساحرة.

وهي صباح يوم التاسع من أكتوبر عام ١٧٨١ أطلق جورج واشطن أول قذيفة مدفعية على مدينة (يورك تاون) لعك الحصار الإنجليزي على أسوارها ومداخلها وقد شهدت المدينة أعنف قصف مدفعي طوال عشرة أيام لم تتوقف فيها مدافع واشطن من الصرب المتواصل حتى أن سحب الدخان قد سادت أجواء المدينة ولم يتوقف جورج عن القصف حتى أبدى القائد الإنجليزي كرنواليس رغبته في الاستسلام هو وجنوده لإنهاء هذا القصف العنيف الذي أبلى به جورج ورجاله بلاء حنا.

وهي الساعة الثانية مساءً في ٢ أكتوبر ١٧٨١ خرج الإنجليز من مدينة (يورك تاون) بشبابهم الحمراء وموسيقاهم الححاسية تعرف بشيد الهريمة «انعلت الدب راسا على عقب»

وساروا بين صفوف متوازية من الجنود الأمريكيين والفرنسيين الذين وقفوا جميعا وقد خيم الصمت عليهم من شرط الاحترام لجورج واشطن، ثم بعد تلك اللحظات ألقي الإنجليز بأسلحتهم على الأرض

في اليوم التالي لاستسلامهم توجه كرنواليس إلى الحiral واشطن واشطن وقدم إليه
فروص الاحترام، وبعد قليل كان كرنواليس على عادة عدا دعا إليها جورج
واشنطن الذي أمر بإعدادها على مستوى يليق ومكانة قادة الجيوش الثلاثة

أما جاكى كوستيس فقد داهمه المرض في ويليامز برج وقد انتقلت إليه روجته
ووالدته من عاوت هرتون لماشرة حالته الصحية والجلوس بجواره ومحاولة البحث
عن دواء لداوانه واليهوص به من وعكته التي ألت به مؤحرا

وقبل أن ترهق روحه وينتف بص قلبه أبدى محاوله على مصيراته الطفلة
الصغيرة بيلي التي لم تكن قد تجاوزت الثالثة من عمرها وكذلك ابنه الصغير الذي
أطلق عليه جورج واشنطن، وقد تعهد واشنطن أمامه بأنه سوف يرعى أباه رعاية
تامة، وأنه سوف ينسى ابنته فيللي، ورجاء واشنطن ألا يشعر بالقلق بحو أطفاله
سواء كان على قيد الحياة أو فارغها.



على الجانب الآخر وبعد أن استسلمت قوات كرنواليس طس الناس أن الحرب قد
أرخت ستائرهما، وذلك بعد أن توقع وزراء جورج الثالث على معاهدة الصلح
ومن ثم كان على الجيش الأمريكى أن يظل متسلكا قويا مترابطا مثل أى جيش
حقق انتصارا، ولكن جورج واشنطن الذي كان على علم أن جوده قد بعد مهم
الصبر ولم يعد بمقدور أى أحد منهم أن يتحلى بالصبر والثبات، ولأنهم لم يتفاهوا
أحورهم، وأن أعضاء الكونجرس لا يعاون مشكلاتهم رغم أهمية دورهم وعظمتهم
في تحرير الوطن واستقلال أراضيه فقد قرر الجنود إما أن يتم تسريحهم من الجيش
والعودة إلى الحياة المدنية للعمل والتحاس للرزق، وإما أن يقوم قائدهم العفري
جورج واشنطن بتولي زمام أمور الدولة والانقلاب على حكاهما الذين أداروا
ظهورهم للجيش، ولم يكن أمامهم سوى التهام الكهكة بمفردهم وليذهب الجيش
إلى المحيم

نعم لقد تحمرا الحدود وطالبوه بأن ينصب نفسه ملكا على البلاد، حيث أنه أجدى وأحق من أى أحد من هؤلاء للمحافظة على الموالين للإنجليز فهو الذى صحى بكل أوصاله وأملاكه وأسرنه وحياته من أجل عودة البلاد إلى أهلها وطرده العصابة الإنجليز، ولكن كان هذا الاقتراح الشجاع قد برل على جورج برول الصاعقة، حتى أنه ناشد جوده بعدم اللجوء إلى مثل هذا التصرف، فمن واجبه احترام الحكومة والكونغرس، ولا يسمى الخروج على أى منهم احتراما لقوانين البلاد

بعد توقيع معاهدة الصلح عام ١٧٨٣، وبعد أن وصلت أساذه إلى أمريكا وتم إعلانه على الجميع، تم تسريح الحدود بعد أن عادوا البلاد بصفة نهائية

وفى مساء الرابع من شهر ديسمبر التقى جورج واشنطن بمقهى فرسيس بمدينة نيويورك مع جوده وصباط جيشه لمصافحتهم ونوديعهم، ولكن فى تلك الأثناء، عرورقت عياه بالدموع حيث كانت اللحظة معمرة بالأحاسيس والمشاعر والعواطف والذكريات والصور المؤلمة والكيرة والكثيرة، وها هو المراق قد ألقى بطلاله الثغيلة عليهم، ولكن جورج حاول أن يبدو مناسكا كما هو معتاد وراح يتحدث بحشد العنبر من جنوده قاتلاً.

«نفت راحر بالشكر عامر بالحب دهوى أسنادنكم وأرحو أن تكون أياكم القادمة سعيدة باحبة بقلر ما كانت الأيام السابقة مؤلمة، وإن كانت محيدة وشريرة وعظيمة»

ثم راح يطلب منهم جميعا مصافحتهم يبدأ بيد دون أن يتس أى جدى بكلمة حيث كان الصمت قد ساد المكان والحدود رهرف عليه سأجحت من تلك اللحظات المؤثرة

وبعد أن هرع جورج واشنطن من مصافحة قواته جميعا ظلت أنصارهم بلاحقه وتشبعه حتى استقل سعيته الراسية أمامهم.

وحين أقلمت، التفت إليهم والدموع تنهمر وهم يلوحون له بأيديهم ودموعهم
التي كانت أكثر غزارة ومخونة
لقد نالوا الاستغلال.

وأبما توجه جورج واشنطن كانت الجماهير تستقبله بحماسة بالغة بوصفه بطل
الاستقلال، وكم من مآذب أقيمت تكريماً له وترحيباً بقدمه المسعد إليهم
وهي أثناء وجوده في فيلادلفيا قدم لوزير المالية حساباً دقيقاً يتسم بالصدق
والشفافية عما أنفقته أثناء الحرب، ثم حرح متوجهاً من فيلادلفيا إلى أنابوليس وهي
في ولاية ميرلاند فقد كان الكونغرس معقداً، ومن ثم تقدم باستقالته من قيادة
الجيش.

وهي ليلة عيد الميلاد شرع جورج واشنطن مسجلاً حربة وبحواره زوجته
مارثا وكانت هذه السيارة تنهذى بهما نحو منزله
وعاد جورج واشنطن إلى مزرعته الحبيبة وبيتته العزيز على نفسه بعد طول عذاب
وكفاح وبضال وهاء وجهاد ومشقة وشقاء وبؤس وحصار وكر وفر واقتحام
واستسلام، عاد جورج إلى موطنه إلى حياته في ماونت فرمون



نبيللى

بعد عودة جورج واشطن إلى بيته في ماونت فريون بدأ على الفور الاستعداد للإحتفال بعيد الميلاد والعام الجديد الذى سوف يأتى بالخير والرفاهية على جميع أبناء الشعب الأمريكى بعد أن تحرر وطنهم العزيز

وامتلا البيت بالنبات والخضرة والأشجار حيث أن جورج واشطن لم يعلم أن الطفلة نبيللى التى كانت بمثابة حميدته والتى تعهد برعايتها قد استعدت لقدم جدها السعيد وتولت مع الخدم تزيين المنزل خاصة وأن الضيوف سوف يترددون عليه طوال ساعات النهار حال عودة الجدد البطل.

كانت نقف في شرفة المنزل قبل وصول جدها تنتظر لحظة مجيئه تسمى أن تقبه وتحتضنه وتعيث في سترته كأي طفل، وأن تام على يديه وأن يروى لها الحوادث التى تحلب اليوم. وها هو الليل قد أسدل سدوله دون أن يأتى الحد والحدة رغم أنها ترتدى أحمر وأحلى الثياب وقد قامت بتصفيف شعرها وريشه بالورود وكان حدادها يلمع كأحدية الضباط المرسيين الذين كانوا قد ترددوا على بيتهم بصحبة جدها جورج واشطن، ولكن حتى بعد أن جاء جورج واشطن ظل الضيوف الذين يتوافدون على البيت طوال النهار يحولون بينها وبينه، ولم يعد بمقدورها رؤيته عن قرب أو الخلووس على ساقيه وتقبيله كما كانت تنتظر، فقد ظلت تنتظره طوال الليل حتى صلبها النوم وتمكن منها لتسقيظ على صحنكات ونعجات وسلامات الضيوف وبالمعل طلت على هذا الحال، فالباس لا تتوقف عن زيارة النطل العائد وهو بالطبع لا يعد مثل أى بطل، فهو في أعين أبناء الشعب بطل الأمة بطل التحرير، بطل الحرية بطل الاستقلال، وهو يستحق كل هذه الألقاب عن جدارة ويدون أبة مجاملة.

وبعد عدة أيام بدأت أعداد الوفود تقل شيئا فشيئا حتى اندثرت تماما لتحتل
 نيللى بجدها أو عم هو في مكانة جدها وأنه لجد عظيم

واصطحبها في الصباح لاستشراق مزارعه وبالقرب من مقر بيته وقف يشرح
 لنيللى الطفلة الصغيرة كيف سبنى لها ولاشقائها يسوتا جميلة هنا، والحدائق العناء
 من حولها، ثم راح يشرح لها كيفية زراعة الأشجار وبعض المحاصيل الأخرى وقد
 بلغ آنذاك أوج سعادته رغم إلحاح زوجته مارثا في إبعاد نيللى عن جدها، حتى لا
 تصايقه ويستطيع أن يتعرع لشئون مزرعته بعد عودته سالما



فخامة الرئيس

حين سمع جورج واشنطن عبارة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اضطرب قلبه وزادت نبضاته هرجاً وانتهاجاً، حيث كانت تلك اللحظة التاريخية في حياة جورج واشنطن كانت في الرابع عشر من أبريل عام ١٧٨٩، وهو واقف في غرفة الطعام بماونت فرنون.

وبعد أن عاد من ممارسة رياضة الصباح على ظهر جواده داخل المرعة كان جميع أفراد الأسرة قد أحاطوا به من كل جانب، حيث كان رسول الكونغرس الأمريكي الذي أقبل على بيته منذ قليل قد أخبر أسرته بالسأ السار، فقد وقع اختيار الكونغرس عليه كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية بعد انتخابه بالإجماع

أوه يا لها من مهمة شاقة وعسيرة وحظيرة، لقد مرت الأسابيع نلوا الأسابيع وهو يخشى قدوم تلك اللحظة وسماع مثل هذا الخبر، وإن كان قد تطلع إلى ذلك أملاً في تحسين أوصاف الشعب وتطويره وتحديثه ومحاولة الارتقاء به بين الأمم، حتى يكون له شأن عظيم، ولا يظل لقمة سائغة في أفواه المرأة الطامعين الذين يتربصون بلحظة ضعف يتسللون خلالها إليه مرة أخرى ليلب ما أنعم الله عليه من كنوز ومن حيرات لا نظير لها في الكون

إن هذه المرة الأولى التي ستشهد البلاد رئيساً لها، وهي تجربة مرعة حيث أنه إذا كان قد اعتاد على أن يتعلم من سبقوه في الخبرات والتجارب فمن هو الذي سوف يرشده إلى الطريق السليم إذا كان هذا الأمر هو الأول من نوعه في تاريخ البلاد؟ ومن ثم لن يكون هناك من سوف يرشده إلى حيث يريد.

إن المهمة جد خطيرة ولكنه جورج واشنطن الذى يتصف بسمات ومرايا عدة فلما تشهد لها أمريكا مثيلاً فى أى رجل من بعده . . فهو الشجاع المقدم الكريم الليل المحلص الذى وهب وطنه كل حياته من أجل رفعتة وسلامته، فمن غيره يستطيع أن يتحمل عبء هذه المسئولية العظيمة ؟

لقد تحلى وجهاء البلاد وأعضاء الكونجرس وأعضاء الحكومة عن بهمة وتحرير ترابهم، ولم يكتب أى منهم بالوقوف السلبى - وقد تشابكت أصابعهم كأنهم اتحدوا على رفض ما أقدم عليه جورج واشنطن - لكنهم فى الواقع اتسقوا على موالة الإنجليز حين كانت اللعة العسكرية ترجح فى أغلب المعارك لصالحهم، ومن ثم راح هؤلاء يطهرون موالاتهم للإنجليز طمعاً وحوقاً، ورفضهم لجورج واشنطن على أمل أن يسلم سلاحه ويعزل نفسه ويصدر قراراً بتسريح جنوده، ولتبقى الأمور على ما هى عليه وليحبها الملك جورج الثالث ويحفظه الله للبلاد والمستعمرات.

إذن لم يكن هناك من يستحق مثل هذا المنصب الربيع سوى القائد العسديد جورج واشنطن

كان جورج حريصاً على لئمة شمل المستعمرات اتنى حالت بينها الحروب والاستعمار. وكان يرى أهمية توحيد كل هذه المستعمرات بدلاً من أن تعيش كل واحدة بعيدة عن الأخرى، حيث رأى واشنطن أن توحيدها بضاعف من قوة البلاد ويحمى سلامتها.

كان مندوبو المستعمرات قد قرروا الاجتماع مرة أخرى فى فيلادلفيا فى مايو ١٨٨٧ للتباحث فيما انجزوه طيلة الثورة الماضية، وكيفية توحيد الصعوف ودمج المستعمرات تحت لواء واحد ليكون الاتحاد أئت دعائم وأكمل نظام.

وهي خلال الاجتماع الذي ظل طيلة أربعة شهور على التوالي حتى يتمكنوا من الوصول إلى صيغة ملائمة للاتحاد المزمع قيامه لتصحح النظم والقواعد التي وضعوها خلال المؤتمر دستوراً جديداً للولايات المتحدة الأمريكية

وفي منتصف يناير ١٧٨٩ وقع اختيار الشعب على الناحيين، ثم اختار النواب الذين اختارهم الشعب رئيس للولايات المتحدة، ثم أعقب ذلك اجتماع الكونغرس في مطلع شهر مارس في نفس العام في مدينة نيويورك وقد عادر جورج واشنطن الرئيس الجديد بيته في شهر إبريل متوجهاً إلى المقر الرئاسي الجديد

كان الرئيس جورج واشنطن قد أبدى رغبته في أن يكون استقباله بسيطاً دون تكلف توفيراً للنفقات، حيث أن البلاد في حاجة إلى أية أموال لتدير أحوالها بعد السنوات المعجاف التي مرت تحت أصوات المدافع، وما حربه من دمار وحرائق وخراب، لكن رغم ذلك فقد أعد الكونغرس استقبالاً رائعاً يلحق بأول رئيس للبلاد حيث قامت لجنة خاصة تحركت لاستقباله في بوجرسى عبر الميناء.

ثم تقوم إحدى السفن العملاقة للزدانة بالأعلام التي كانت ترصوف في الهواء الطلق مستشرة بقدم الطل ويفودها نحو ثلاثة عشر قبطاناً من البحارة البارزين وقد ارتدوا جميعاً ثيابهم البحرية البيضاء لتقله من خلال الميناء إلى طرف وول ستريت

كانت المدينة قد ريت بالأعلام وأقواس النصر من الزهور والورود فيما خرجت الجماهير عن مكة أيها لاستقبال رئيس البلاد الأول في تاريخها

كانت الفرق الموسيقية تعرف الأناشيد الوطنية والحماسية والمدافع تطلق طلقاتها ابتهاجاً بقدومه . .

أما طقوس حمل تقليده للرياسة فقد تم تأجيلها حتى يفرغ أعضاء الكونغرس من مناقشة الآليات التي ينمى بها مخاطبة السيد الرئيس حتى تحفظ له مكانته وهيبته . . . وراح البعض يتساءل . هل يحاطب بلقب صاحب الجلالة الملكية؟ ولكن هذه مخاطبة البلدان الملكية لحكامهم من الملوك، وجورج واشنطن يشغل منصب رئيس جمهورية واشنطن بين هذا وذلك .

هل يحاطبه بعبارة صاحب السمو الأفهم؟ أم صاحب المعظمة السامية؟ أم صاحب المكانة الرفيعة؟ كل هذه الاقتراحات كانت تدور في أروقة وقاعات الكونغرس طوال ساعات دون التوصل إلى صيغة ملائمة وسط خلافات حادة بين الأعضاء حتى نهض السير جيمس ماديسون الذي كان أحد أعضاء لجنة وضع الدستور قائلاً «ينبغي أن يقتصر الأمر على عبارة السيد الرئيس فقط»

وعلق جون آدمز . هذا في سمي أشبه ما يكون بأنه رئيس لعمرة اطملة الحرائق، وكان جون آدمز يشغل منصب وكيل الكونغرس

بعد ذلك تقرر أن يحلف الرئيس اليمين في الثلاثين من أبريل بعد الظهر من خلال الشرفة التي كانت خارج قاعة مجلس الشيوخ

في هذا اليوم احتشدت جموع الناس في الشوارع والميادين وحين ظهر لهم جورج واشنطن بدأ لهم صمعا مريضا حيث كانوا يطالبونه بأقصى ما يستطيعون وما يفرق طاقته

وسرعان ما استطاع أن يستجمع قواه مرة أخرى وتقدم بصع خطوات وراح يضع يديه على الكتاب المقدس، وحلف اليمين قائلاً «أقسم أن أؤدي عمل رئيس الولايات المتحدة بكل أمانة وإخلاص، وألا أدحر وسعا في أن أحافظ على دستور الولايات المتحدة وأصونه وأدافع عنه»

وبعدها وهمت جموع الشعب: «بارك الله جورج واشنطن.. عاشر رئيسا!»
 انتقلت أسرة جورج واشنطن إلى مقر الرئاسة الجديد في نيويورك، تلك المدينة
 التي يسكنها نحو ثلاثين ألفا من السكان، وأقامت زوجة واشنطن أول حفل استقبال
 لزوجات الساسة وأعضاء الكونغرس وسوة المدينة ووجهاء القوم، حتى أن الحميدة
 بيللي قد لفت انتباهها الحللى والزينة والمثاب العاحرة والاكسسورات التي كانت قد
 تربت بها وجوه الساء

أما جدها جورج واشنطن فقد قرر أن يحدد يوم حفل الاستقبال للرجان فقط
 وقد حدد يوم الثلاثاء وكان يرتدى خلاله ثياب فاخرة بدا بها حميلا جدانا لم يراه
 حتى قيل إنه خلق لكي يكون رئيسا للملاد.



واشنطن العاصمة الجديدة

كان المهاجرون يعملون ذات يوم من أيام شهر يونيه فى بضع حقول وغابات عبر نهر البوتوماك من جهة الاسكندرية، وكان جورج واشنطن مع شخص آخر كان يصمره سنا يراقبانهم من حفل التبخ القديم القائم على ربوة عالية

وكان الجو رائعا وجميلا حيث السماء صافية والسحب البيضاء ساطعة

هى مثل هذا اليوم بالذات كان جورج واشنطن مند اثنين وأربعين عاما يعمل مجرد مساح صغير فى مدينة الاسكندرية، ولكن ها هو قد أصبح فى التاسعة والخمسين من العمر رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية

لقد وقع اختيار واشنطن على هذه المنطقة التى تقع وراء نهر البوتوماك القريب لقلبه لتكون مقرا للدولة الجديدة الوليدة، وعلى ظهرها شرعوا فى بناء عاصمة جديدة

أما زميله الذى كان يعمل مساحا معه ويصمره فى السن فقد أصبح أشهر مهندس للتصميمات، حيث كان المسئول عن تصميم العاصمة والتفيا معا جورج ورميله - فى المساء لوضع تصورات واقتراحات وافكار تتعلق بالمدينة المرمع قيامها

واتفق الرجلان على أن يكون مبنى الكونغرس مشيذاً على قمة الربوة على أن يكون مركزا بحيث تشعب منه العديد من الشوارع الواسعة

لقد قرر أعضاء الكونغرس أن يكون لهم مبنى خاص بهم، ومقر دائم بدلا من التنقل من هنا لهاك كل عام، وهو ما يؤدى إلى إشاعة جو من التوتر والعوصى فى صفوف الأعضاء على عكس أن يكون لهم مقراً ثابتاً ودائماً

وبدأت مناقشات الاعضاء حول: أين يكون مقر مجلسهم الجديد؟ حتى
 منحهم مدينة ميرلاند بعض أراضيها التي خصصتها لهذا الغرض، فيما اشترى
 البعض الآخر من أصحابه الذين غالوا في تجميع أراضيهم الأمر الذي دفع واشنطن
 إلى الذهاب إليهم لمناقشتهم في كيفية تخفيض أسعار هذه الأراضي التي ارتفع ثمنها
 إلى رقم هائل لم يكن أحد يعلم به أو يتصور حدوثه مستقبلاً على هذا النحو
 السريع، وقد يادر جورج واشنطن بالقول لأحد هؤلاء الملاك وكان من اسكتلندا
 لا نسي أنه لولا الدولة الاتحادية ما كنت تستطيع أن تبيع أراضيكم على وجه
 الإطلاق بل وكنت ستظل على حالكم مجرد إنسان فقير معدم لا يملك شيئاً
 واحداً

فرد عليه المستر برنز ذاك الاسكتلندي العبد قائلاً
 لولا أنك لم تتزوج من أرملة كوستيس التي تشتهر بالثراء الواسع لبقيت أنت
 أيضاً مجرد صاحب أراضي بل مساحاً فقيراً ومعدماً
 ورغم حدة النقاش والنراشق العيف فقد اضطر مستر برنز إلى الصرح
 والامتنال لرغبة جورج واشنطن تقديراً لدوره العظيم في تحرير الوطن واستقلاله
 كان برنز يملك قطعة الأرض التي اختارها الرئيس لتكون قصراً دائماً للرئاسة،
 ومن ثم تراجع باقي الملاك وغاموا بتخفيض أسعارهم
 ثم سرعان ما تولى المساحون تطهير قطعة أرض كانت حول المنطقة كلها تبلغ نحو
 عشرة أميال مربعة وشيدوا فيها معالم حجرية بين كل معلم وآخر ميل واحد
 لتؤكد للناس أنها ضمن أملاك الولايات المتحدة الأمريكية كلها
 وكان المقصود بذلك هو إقليم كولومبيا كما أطلق عليه توماس جيمسسون
 وماديسون وغيرهما من أعضاء اللجنة التي تولت مهام شرائها، وهم الذين أطلقوا
 على المدينة التي ظلت أعمال البناء بها نحو عشر سنوات اسم «واشنطن»، بيد أن
 واشنطن نفسه لم يكن يستخدم هذا الاسم إطلاقاً، بل كان يردد أمام الجميع في
 تواضع جم اسم المدينة الاتحادية.

الرئيس يقدر السلام

كانت الولاية الأولى التي ظلت نحو أربعة أعوام هادئة فصلا عن أن مدته الثانية التي فاز بها بأعلى الأصوات قد تعرض خلالها لأقاويل وافتراءات عديدة أهمها جهله التام بشئون أعمال الرئاسة، وأنه حاقط وناكر للمعروف، وأنه من السهاء الذين أنصمهم الخط، ولولا الأرملة الثرية التي تزوجها ما كان له شأن أو مكانة، بل كان سيفضي بقية عمره مساحا كبر أو صغرا . ثم بلغت الاتهامات ذروتها حين زعموا أنه إنسان خائن!!!

لهذا الحد بلغت الاتهامات التي طالت جورج واشنطن، ولكن لماذا كل هذه الافتراءات؟

بساطة لأنه رفض أن يعلن الحرب.

كان ذلك أثناء فترة اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى، حيث أقدم الفرنسيون على قتل الملك لويس السادس عشر، وكادوا أن يقتلوا زوجته الملكة ماري أنطوانيت لولا أنها هربت إلى النمسا لانتماس الحماية من والدها امبراطور النمسا في ذلك الوقت .

لقد نجح الثوار في التخلص من الحكومة الملكية واستبدلوا بالجمهورية تحت شعار الحرية والإحسان والمساواة، ومن ثم قذفوا الرعب في قلوب ملوك وأباطرة أوروبا الأمر الذي دفع جميع السدان الأوروبية خاصة فرنسا العداء والكراهية، وكان في طبيعة تلك البلدان إنجلترا بالطبع.

وراح الناس في فرنسا يبتلون عيظاً من ملوك أوروبا الذين يتربصون بفرس تلك الدولة التي ساعدتهم في طرد الإنجليز، وأحد العض موقعا طالب فيه بضرورة

المشاركة مع فرنسا في حروبها على عرار ما صنعتها معنا عند حرب الاستقلال وادعى البعض الآخر أن هذا القول يحلو من الحديد، ويرهن على السجاجة وصيق الأفق فإن الذي قدم لنا يد المساعدة هو الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا ولم يكن لهؤلاء العوغاء أى دور في مساعدتنا، ومن ثم إذا أردنا أن نقدم يد المساعدة فوجب علينا أن نساعد حتماً فرنسا لإعادة الملكية والقانون والنظام والشرعية في فرنسا، وليس العكس الذي لو قمنا به على النحو الذي يشهده البعض لأصبحنا في مقدمة الجاحدين وماكر المعروف.

على هذا النحو انقسمت الولايات المتحدة على نفسها . فريق يطالب بالحرب على فرنسا، والآخر يطالب بالوقوف معها..

وخرجت الجماهير في الشوارع تحمل الاعلام الفرنسية وقد علت أصواتها وصياحتها في نائب ونويج جورج واشنطن، حتى أن المظاهرات العاصفة كانت محتشدة أمام بيته في حصار مضروب كاد أن يقتك بحياته إلا إذا أعلن الصمام لفرنسا ضد أعدائها.

إن جورج واشنطن لم يسأ أبداً فصل فرنسا ودورها في دعم بلاده ضد الإنجليز. لا لم يكن من هؤلاء الذين يكررون الفضل ولكنه لم يسقط من ذاكرته أنه وقف مع الإنجليز لمحاربة الفرنسيين وأنصارهم من الهنود . لقد حارب مع فرنسا وصد فرنسا أيضاً، وحارب مع إنجلترا وصد إنجلترا، ولكن حروبه كلها كانت من أجل وطنه وشعبه لا من أجل غاية أخرى، إن ما نحتاجه هذه البلاد هو السلام من أجل الهنود بالزراعة والصناعة والتجارة والإنتاج، والارتقاء بمستوى الأفراد وعلو هامة الوطن

لقد كان جورج واشنطن يعاني من شدة الألم وقد حاول أكثر من مرة إسعاد الرئاسة لئلا يهون أدمز، وقد قال جون أدمز:

لقد أعزورقت عيون الناس وهم يودعون أول رئيس لهم في آخر يوم من أيام عمله وتجمعت الناس لاستقباله في كل مكان يتجه إليه ويهتفون ويصيحون بعبارات الحب والولاء والإطراء حرس الشرف يصطف له في كل مكان يذهب إليه وهو ما أدخل السرور في قلبه، ومن ثم راح يقول:

«إد رضا بلادي عى لهر أكبر أمنية لى وما كت أطمع به وأصبر إليه».

وعاد جورج إلى بينه القديم في ماونت فرمون على ظهر عربة نجرها ثمانية خيول قوية، وذلك بعد أن انتهت ولايته الثانية ليعود معزرا مكرما إلى أسرته التي افتقدها طوال السنوات المنصرمة التي وهب فيها حياته من أجل شعب بلاده

ورغم بقاءه في ماونت فرمون فقد كانت تصله خطابات عديدة من المواطنين تستفسر عن صحته وأحواله، ولكن كان المرض بدأ يتدخل في جسده.

ورغم بلوغه السادسة والستين فقد شارك زوجته مارثا الرقص في أثناء الاحتمال بعيد ميلاده، وجاء يوم الجمعة السادس من ديسمبر ١٧٩٩ ليكون هو آخر يوم يسجل فيه مذكراته.

كان الثلج قد تساقط بهرارة يوم الخميس. وحين عاد إلى البيت لتناول الطعام كانت قطع الثلج تبلل شعر رأسه وتطرق عقه فتدهورت صحته يوم السبت لموت بعد ساعات معارفا الحياة تاركاً بصماته المحورة بعمق في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت جنازة جورج واشتنى جنازة مهبة وضخمة، حيث حشرت الملايين لوداعه والبقاء النظرة الأخيرة على جنماته وسط بحار من الدموع التي تسافت بمرارتها ثلوج وأمطار الشتاء القارس الذى أودى بحياة الفارس المهور جورج واشنطن.

فهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول:	
نشأة جورج واشنطن .	٥
لورانس المثل الآخر .	١٠
وفاة الأب المفاجئة .	١٦
كيف تتعامل مع الآخرين؟	٢٠
العمل في الماحة	٢١
الورد المتواضع .	٢٦
الفصل الثاني:	٢٩
مذكرات جورج واشنطن .	٢٩
هجرة شقيقة لورانس .	٣٣
الفصل الثالث:	٣٧
حرب الهند مع الفرنسيين .	٣٧
الفصل الرابع:	٤٩
زواج جورج واشنطن .	٤٩
الفصل الخامس:	٥٣
جورج والانتخابات التشريعية .	٥٣
الفصل السادس:	٦٥
الجنرال . . جورج واشنطن .	٦٥

- ٦٨ حرب الاستقلال.
- ٨٣ نيللي.
- ٨٥ فخامة الرئيس.
- ٩٠ واشنطن العاصمة الجديدة.
- ٩٢ الرئيس يقدس السلام.
- ٩٥ الفهرس.

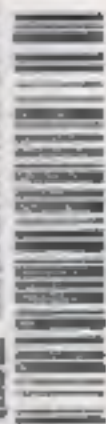
شخصيات أثرت في التاريخ



جورج واشنطن مؤسس أمريكا

41
89

Biblioteca Alexandria



0670083

I.S.B.N. 977-436-077-X



9 789774 360770

مكتبة النافذة